بسم الله الرحمن الرحيم

السنة٩
صدى
عاشوراء

قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الفكر والإبداع

العنوان: صدى عاشوراء
الناشر: العتبة العباسية المقدسة – قسم الشؤون الفكرية والثقافية
الإعداد والتحرير والمراجعة اللغوية: شعبة الفكر والإبداع وحدة الإصدارات
التصميم : حسين عقيل – حسين شمران
الطبعة: الأولى
عدد النسخ: ١٠٠٠
شهر محرَّم الحرام ١٤٣٦هـ
حقوق النشر والتوزيع محفوظة للعتبة العباسية المقدسة

المحتويات

١١ الحسين عليه السلام باب الله سبحانه وتعالى

١٥ اللّطف التّفضّلي

٢١ أهمية الشعائر

٢٧ ثأر الله

٣٥ وقفات عند عاشوراء

٤٧ كيف نتعاطى مع القضيّة الحسينيّة؟

٥٣ إحياء عاشوراء

٦٧ من عطايا سيّد الشهداء عليه السلام

٧٣ أضواء على مجالس البكاء

٨٣ شذرات معرفية

٩١ رجال حول سيّد الشّهداء عليه السلام دروس من حياة السفير مسلم بن عقيل عليه السلام

١٠٣ رحلة في جرح الحسين عليه السلام

في البدء

كانت شريعة بني أمية تهدف إلى دفن الحق بالقوة، وسحق المعنويات بالماديات، وتحويل الأخلاق والمعارف إلى جهل ومساوئ، لولا أن نهض سبط رسول الله -صلى الله عليه وآله- لإنقاذ هذه الأمة، ليكون راية للعدل وآية للحق، ومناراً للفضيلة، ومثالاً للإخلاص، فينهض مدافعاً عن عقيدته وأُمته وشريعة جده الرسول الأعظم -صلى الله عليه وآله-، دفاع من لا يبتغي لقربانه مهراً، ولا يسأل عليه أجراً، ودون أن تلوي لواء لائمة عدوّ أو لائمة صديق، هذا هو سيّد الشّهداء الإمام الحسين -عليه السلام- والذي يصلح أن يكون المثل الأعلى لكلّ الأجيال وفي كل العصور.

لقد بدت لثورته المقدّسة آثار جليلة النّفع عظيمة الشأن فقد أولدت هذه الثورة المباركة حراكاً لا مثيل له في رجال الإصلاح الذين ساروا على خطى سيّد الشّهداء في التّضحية، وحتى عهدنا الحاضر ممن لا يحصون في مختلف الأزمنة والأمكنة، فخابت آمال بني أُمية إذ ظنوا أنهم قتلوا حسيناً فأماتوا شخصه وشخصيته وأبادوا جسده وروحه.

إنّ الإمام الحسين -عليه السلام- بقيامه في وجه الظّلم والجور أحيا ذلك الشّعور الإسلامي السّامي الذي اندثر في حياة معاوية أو كاد أن يموت، ونبّه الناس إلى أضرار حبّ الدّنيا، ورعاية اللّذات واللّذات، والخوف على النّفس والعائلات. إذ أعرض عنها حينما رآها تنافي الإيمان والوجدان، وتناقض الشّهامة والكرامة، فجدّدت نفسه أو النّفوس روح التّدين الصّادق وعزة النّفوس الأبية.

إنّ النّهضة الحسينية ينبوع الحركات الثّورية الباقية الذكر والخير في ممالك الإسلام، فأيّ خير كهذا الينبوع السيال، والمثال السائر في ذاكرة الأجيال.

الحسين باب الله (١)

الشيخ حيدر حسن/ باحث اسلامي

مرَّة أخرى تطالعنا سيرة الإمام الحسين-عليه السلام- بشيء مذهل ورتبة عظيمة ومكانة خطيرة وصفة تفوق الشّروحات، تطالعنا بصفة مرتبطة بالله -تعالى- مباشرة ألا وهي صفة الكون باباً لله الواحد الأحد.

ولهذه الصّفة معنى دقيق وكلّما كثر الكلام عنه ازداد الإنسان حيرة وذهولاً، لكن الميسور لا يسقط بالمعسور فلا بأس ولو بالإشارة والتلويح إلى هذه الصّفة العظيمة.

معنى باب الله:

المراد من الباب هو المدخل للشيء مادّياً كان أم معنويّاً، ولا يؤتى الشّيء إلّا من بابه، والباب موصل إلى الغاية، أمّا الولوج من غير الباب فغير موصل؛ لأنّ الحكمة الإلهية ابتنت على الدّخول من الأبواب حصراً، لا مجرد الكون بل الكون عبر الباب فقط، وجعل الله -تعالى- الحسين-عليه السلام- باب معرفته وتوحيده، فصارت معرفة سيد الشهداء عند الله -تعالى- بمثابة معرفته -تعالى-، فجعل ثواب من عرف الحسين مساوق لثواب من عرفه -تعالى-، وجعل الدّفاع عن الحسين دفاعاً عنه، ونصرته نصرته -تعالى-،ولهذا فاز أصحاب الحسين-عليه السلام- بهذه المنزلة العظيمة بعدما وطنوا أنفسهم للدّفاع عن الإمام الحسين -عليه السلام- فجعلهم الله -تعالى- **(سادة الشّهداء في الدنيا والآخرة)**(٢).

فالحسين باب الله أي أنّه يمثّل الله -تعالى- في الوجود بإذن الله فهو الموصل إليه -تعالى- وذلك من خلال معرفته ومتابعته والتّسليم إليه ونصرته وتقديسه، وقد أشير لذلك في زيارته **(وقد علمت أنّ قوام ديني التّسليم لأمرك...)** (٣)

ولا تختص هذه الصّفة في عصره بل مطلقاً، وهو معنى كونه -عليه السلام- الكلمة التّامّة أي كلمة التّوحيد التّامة في جلالها وجمالها وشروطها وأركانها وتمجيدها، فقد عبر عن المعصوم -عليه السلام- بأنه كلمة الله **(اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا كَلِمَةَ اللهِ)** (٤).

وهذه الكلمة التّامة أشار الله -تعالى- إليها في القرآن الكريم، وبذلك تشتد مصيبته

أكثر وذلك لموقعه وعظمته وكبريائه: (**ما أعظم مصيبتك عند أبيك رسول الله، وما أعظم مصيبتك عند من عرف الله عزّ وجلّ، وأجل مصيبتك عند الملأ الأعلى...**)(٥).

وهو معنى قول المعصوم في زيارته للحسين -عليه السلام- " **إرادة الرب في مقادير أموره تهبط إليكم وتصدر من بيوتكم والصادر عمّا فصل من أحكام العباد ...**"(٦).

أي جميع أمر الله-سبحانه- بكل مراحله ورُتبه يهبط إلى مستقر سلطانه، وهو الإمام المعصوم ومنه يصدر إلى العالم فهو -عليه السلام- باب الله يفتح إلى العوالم، وهو باب من الله إلى الخلق صعوداً ونزولاً.

وعلى ضوء هذا صار الوصول إلى المقامات الكمالية العالية لابُدّ من أن يكون من بابه الخاص وهو الحسين-عليه السلام-، ولهذا ورد في بعض الزّيارات: " **السلام عليك يا باب المقام**"(٧).

الهوامش:

(١) ينظر بحار الأنوار/ محمد باقر المجلسي(ت:١١١١)/ الناشر مؤسسة الوفاء -بيروت -لبنان/ ١٤٢٣هـ/ ج ١٠١ / ص١٦٦.

(٢) المصدر نفسه/ ج ٩٨ / ص ١٤٩.

(٣) المصدر نفسه / ج ٩٨ / ص ١٧٣.

(٤) بحار الأنوار / ج ٩٩ / ص ٢٠.

(٥) المصدر السابق / ج ٩٨ / ص ١٧٨.

(٦) المصدر نفسه / ج ٩٨ / ص ١٥٣.

(٧) المصدر نفسه/ ج ٩٨ / ص ٢٦٢.

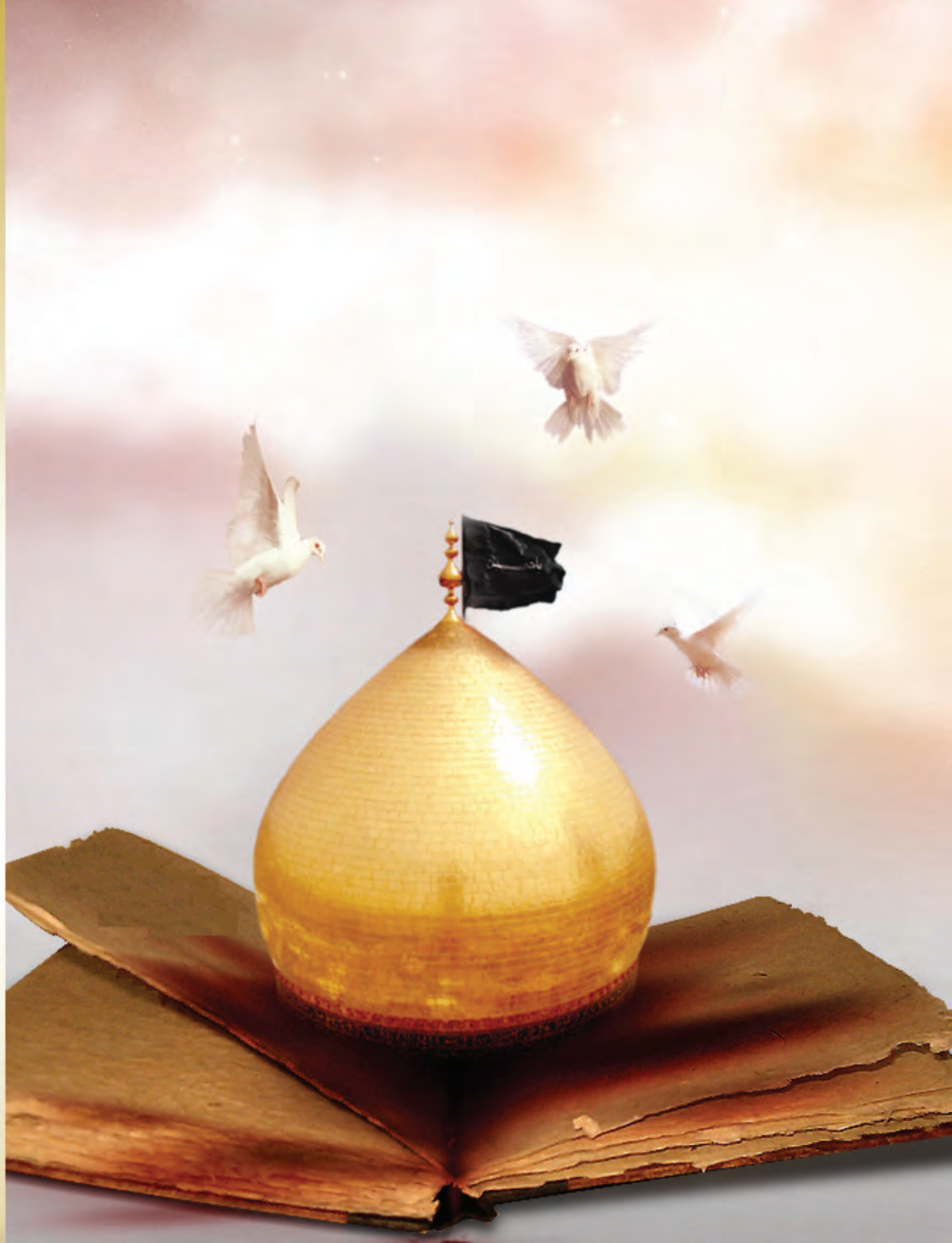

اللّطف التّفضّلي

سليم عادل الحسناوي/ كاتب

اللّطف هو كلُّ ما يقرّب الإنسان من طاعة الله -تعالى- ويبعده من المعصية، ولكن بلا إلجاء وإكراه وإجبار، وإنّما بمحض اختيار الإنسان نفسه، كبعثة الأنبياء-صلوات الله عليهم-، وتنصيب الأوصياء-سلام الله عليهم- فإنّها لطف ولكن لم يجبر الإنسان في الإتباع وعدم الإتباع، ولكن في اتّباعهم نجاة وقرب وخلاص، وفي معصيتهم هلاك وعذاب وسقوط في مهاوي الجحيم، وهذا اللّطف واجب في الحكمة، أي أنّ وجود الأنبياء وتنصيب الأوصياء وسنّ الشّرائع من الأمور الواجبة لإنقاذ الإنسان، ولكن هناك لطف تفضلي أغلبه متعلق بالإمام الحسين-عليه السلام- وقضيته وشعائره ....

وهو ينفع في قلع الشّك من قلوب الموالين، وتقوية قلوبهم، وتثبيت أقدامهم، والاستفادة من هذا اللطف أيضاً يعتمد على مقدّمات وإن كانت بسيطة في نظر النّاس كتقديم خدمة صغيرة لزائر الحسين-عليه السلام- فإنه يكرم بمنزلة عظيمة، وهكذا ثواب زيارة الحسين -عليه السلام- وتعظيمه.

وهذا اللّطف التّفضلي لازال موجوداً في القضية الحسينية، ولازال الإمام الحسين-عليه السلام- يرسل ألطافه الخاصة لبعض محبّيه وفق الحكمة، وعليه فلا بُدّ لنا من نصرة القضية الحسينية كي نحصل على ألطافه التّفضليّة، ولا نكون مثل عبيد الله بن الحر الجعفي الذي خرج من الكوفة حينما سمع أنّ الحسين-عليه السلام- قادم إلى الكوفة كي لا يراه!!! ثم شاءت الأقدار أن يلتقي الحسين-عليه السلام- في الطّريق فيدعوه الإمام الحسين فيرفض المجيء، فيقوم الإمام الحسين -عليه السلام- بزيارته ويدعوه لنصرته، فيقول الجعفي: إنّي ما خرجت من الكوفة إلا حذراً من لقائك، فيعتذر من الحسين-عليه السلام-، ويقدّم له فرسه!!

فيقول له الحسين-عليه السلام-: لسنا بحاجة إلى فرسك!

هكذا بعض الناس يَحرمون أنفسهم من الألطاف الحسينية باختيارهم، ومن جملة الألطاف التفضلية التي يمكن لنا أن نحصل عليها من خلال زيارة قبر الإمام الحسين

-عليه السلام- لاسيما الزّيارات المخصوصة وأعظمها زيارة عاشوراء، والاستمرار في زيارة الحسين-عليه السلام يفتح لك وعليك باباً من اللّطف الذي قد يغيّر حياتك ودواخلك ومشاعرك وأفكارك وقراراتك كما حصل مع الحر الرّياحي، وزهير بن القين وزوجة وهب النّصراني-رضوان الله عليه-...

ثم إنّك إذا حصلت على هذا اللّطف التفضلي أو بعض مراتبه فإنّه يزيدك حبّاً للحسين-عليه السلام-، وهذا يخرجك من بعض مراتب التّقصير، هل تأمّلت في قصّة خروج وهب النّصراني لميدان القتال؟!

حيث برز وقاتل ثم عاد إلى أمّه قائلاً هل رضيت؟ قالت: لا حتى تُقتل دون الحسين -عليه السلام- فرجع يقاتل حتى قُتل!

انظر كيف أخرج نفسه من حدِّ التّقصير، وهكذا والدته -رحمها الله-.

وبعض آثار الألطاف التفضلية ترشدك إلى حقائق وكنوز معرفيّة لا ينالها أي أحد، وبعبارة أخرى: إنّ الألطاف الحسينية تجعلك تعثر على بعض الأسرار وبعض مراتب الفهم والإدراك حول الحسين-عليه السلام- غير موجودة في الكتب، أو تكشف لك عن نور النّصوص الذي لا يراه غيرك بقلبه، أو ترفع عن قلبك بعض الحُجب فينجلي صدرك وينشرح، عند ذلك تقرأ ما لا يقرأه الآخر فهم، وتكون أنت قد رُفع عنك غطاء الغشاوة، وقامت فيك الدّراية وتكون ممن (ناجاهم - الله - في قلوبهم وكلّمهم في ذات عقولهم).

شروط مهمة

ولكي نكون مخلصين لله -تعالى-، وأوفياء في المودّة لذي القربى صلوات الله عليهم يلزم:

أوّلاً: أن نتعلّم الإخلاص من المولى أبي عبدالله الحسين-عليه السلام-، ونسعى في تطوير المجالس الحسينية إلى الأفضل، وعلى جميع المستويات، ولا ندَع الخلافات والمشاكل وغيرها تحكمنا، خاصّة وإنّ الشيطان وأعوانه يسعون جاهدين لإفساد خدماتنا، بل ليكن نظرنا دائماً إلى أهل البيت-صلوات الله عليهم-.

ثانياً: عدم التقصير في قضايا الإمام الحسين -عليه السلام-، وعلى أصحاب الأموال أن يبذلوا أموالهم، والمتكلّمون عليهم أن يشدّوا قلوب الناس بألسنتهم، والكُتّاب لا يتوانوا في كشف الحقائق بأقلامهم. وإلا فإنّ من يقصّر في قضية الإمام الحسين -عليه السلام-، ستكون عاقبته الندامة، ولابدّ أن يأتي يوم يتحسّر فيه.

ليقدم كل منا ما بوسعه من خدمة للإمام الحسين -عليه السلام- مهما كانت تلك الخدمة، فمن استطاع أن يشترك في المواكب الحسينية فليشترك فإن ذلك شرف وفخر، ومن أمكنه أن يكون خطيباً لسيد الشهداء -عليه السلام- فليكن، ومن استطاع أن يكتب كتاباً أو يقوم بطبعه ونشره أو يشتري كمية من الكتب أو الأشرطة أو الأقراص الكمبيوترية وما أشبه، مما يعنى بقضية الإمام الحسين -عليه السلام- ومظلوميته، ثم يقوم بتوزيعها مجاناً، ومن استطاع أن يبني حسينية أو يساهم في بنائها... إلى غير ذلك من الخدمات فليفعل; فكل ذلك فخر وشرف وذخيرة للآخرة.

ثالثاً: عدم الإخلال والتهاون بالوظائف الشرعية تجاه الأحكام الإلهيّة والسنن المطهّرة لرسول الله وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم والالتزام بها، وأن نسعى جاهدين ألاّ نخرج عن حدود أحكام الله وأن لا نبتعد عن الإمام الحسين عليه السلام فإنّ بعض الأمور غير قابلة للإصلاح فيما لو صدرت بدون تدبّر.

إنّ سيّد الشهداء -سلام الله عليه- استشهد لإحياء أحكام الله -تعالى-، فلنسعَ نحن بدورنا لصيانة هذه الغاية العظيمة والمحافظة على ثمارها.

رابعاً: معرفة الأهداف التي جاهد من أجلها الإمام الحسين -عليه السلام- والسعي إلى تفعيلها والاستفادة من ثمارها.

إنّنا إذا بذلنا الجهود في سبيل تعريف الإسلام وإيقاف الناس على تعاليمه السمحاء فقد سرنا على طريق أهداف أبي عبد الله الحسين -سلام الله عليه-، فلندعو غير المسلمين إلى الدخول في الإسلام، أو غير الشيعة لأن يستبصروا، ولنعمل على تثبيت قلوب ضعيفي الإيمان من الشيعة، ودعوتهم إلى الصلاح والاستقامة في عقيدتهم وعملهم، وبذلك نكون قد ساهمنا في تطبيق تلك الأهداف المضيئة.

لو كنا نعرف قيمة سيد الشهداء -عليه السلام- حقاً لاستطعنا أن ننقذ العالَم كله بإذن الله -تعالى-، فإنّ القدرة الموجودة في نهضة سيد الشهداء -عليه السلام- بإمكانها أن تنقذ جميع العباد والبلاد؛ لما فيها من جاذبية عجيبة، ولما انفردت به من البطولات.

يقول أحد الغربيين: لقد قرأت تاريخ الحروب المدوّنة كلها فلم أجد فيها من بدايتها إلى نهايتها موقفاً لقائد يشبه موقف الحر الرياحي، راجعوا التاريخ كله، هل تجدون قائداً ينتقل من الطرف الأقوى إلى الطرف الأضعف من الناحية العسكرية مضحياً بمنصبه وهو يعلم أنّ مصيره القتل حتماً؟!!

إنّ قضية كربلاء مشحونة بالبطولات العظيمة وقد اشترك فيها الرجال والنساء والأطفال والشيوخ والشباب والأحرار والعبيد... ولذلك فهي مؤثرة في كل شرائح المجتمع.

یاحسین

أهمية الشعائر

مقتطفات من مؤلفات سماحة السيد جعفر مرتضى العاملي

إعداد: فاطمة كامل المسعودي

لكل مجتمع قيمه العليا، التي تعكس عن حضوره الخاص في التاريخ، كما وأنّ لكلّ أمّة من الأمم شعائر وممارسات خاصة تعبّر بها عن خصوصياتها وتحمل مبادئها وهويّتها .

وتكتون الشّعائر بمعناها العام الموروث الحضاري الذي ينتقل من الآباء والأجداد الى الأبناء والأحفاد في أطر معيّنة مختلفة قد تتأثّر بالواقع الدّيني أو القومي.

هذا بالنسبة للصعيد العام أمّا على الصّعيد الإسلامي فإنّ الإسلام تضمّن شعائر كثيرة ساهمت في تحديد الهويّة الحضارية للأمّة الإسلاميّة، فمنها ما يرتبط بالعقيدة والجوانب العبادية والحياة الاجتماعية والسّياسيّة، كمناسك الحج وأعماله التي ترسخ لدى الأمّة عقيدة التّوحيد وتعمّق الشّعور بالانتماء للأمّة الواحدة .

والشّعائر الحسينيّة قضية إسلاميّة أصيلة جسّدت الإخلاص والحب والتّفاني للرّسالة الإلهية.

ولعلّ من أهمّ أهداف الشّعائر الحسينيّة أن تستلهم الأمّة من عطاء تلك الثّورة المقدّسة وأن تُساهم في بناء المجتمع الصّالح الذي يقوم على أسس عقائدية وسياسية صاغ مفرداتها الأئمة المعصومون-عليهم السلام- بعد استشهاد الإمام الحسين -عليه السلام-.

لقد استمدّت الشّعائر الحسينية عظمتها من عظمة من أضيفت إليه ألا وهو ريحانة الرسول الأعظم محمد -صلى الله عليه وآله- سيّد الشّهداء الإمام الحسين-عليه السلام- صاحب الثّورة السّامية الأهداف التي جسدت كل معاني العظمة .

ولقد حفظت لنا الشّعائر الحسينية الرّسالة الخاتمة من الضّياع والتّشويه والتّحريف لذلك أراد النبي -صلى الله عليه وآله- والأئمة من أهل البيت -عليهم السلام- للشعائر الحسينية أن تستمر في الزمان والمكان لتؤتي أكلها كل حين .

إنّ العلّة الرئيسية التي لأجلها كانت الشّعائر الحسينيّة هي الممارسة الإعلامية العلنية الواضحة المشيرة إلى الحق الذي سُلب من أهل البيت -صلوات الله عليهم-، وجميع

الغايات والأهداف الأخرى تتفرع منها.

ويمكن إجمال تلك الأهداف بالنّقاط التّالية:

١- **تعريف البشرية بتاريخ وعلوم أهل البيت -عليهم السلام-** وبيان فضائلهم ومآثرهم، ولا يمكن لأحد أن ينكر عظيم الحاجة إلى ذلك بسبب ما تعرض له هذا التاريخ من تحريف ودس لاسيما في عصر بني أمية وعصر بني العباس، وما عملته وتعمله اليوم الأقلام المأجورة والضّالّة.

٢- **خلق نوع خاص من التّرابط العاطفي مع أهل بيت العصمة -عليهم السلام-** والذي دعا إليه القرآن الكريم بقوله -تعالى-: **(قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ)**(١).

٣- **تربية وتوعية الجيل الجديد، وبناء أساس فطري عقائدي متين يستند إليه.**

ونستطيع تلمّس الحاجة إلى ذلك من خلال مناهج الدّراسة في المدارس الأكاديمية ووسائل الإعلام المرئية على وجه التّحديد التي تفتقر إلى ذكر أهل البيت -عليهم السلام- وما تخلفه من تأثيرات أساسيّة في التّشكيل العقائدي للجيل الصّاعد، ومن هذه النّقطة ندرك مدى الحاجة للتّمسّك الشّديد بهذه الشّعائر وتوجيه أجيال المستقبل نحوها.

٤- تربية النّفوس وإعدادها لنصرة إمام العصر والزمان -عجل الله تعالى فرجه الشريف- من خلال ترسيخ القيم والمبادئ السّامية مثل التّضحية والمواساة ونصرة الحق وغيرها، والتّحقير والتّنفير للصفات المذمومة مثل الطمع والظّلم وقسوة القلب وغيرها(٢).

٥- **مخاطبة البشر كافة، وبغض النّظر عن الاختلاف والتّباين الثّقافي بينهم.**

ومن المعلوم أنّ الأمّة الإسلامية على سبيل المثال تضم العديد من القوميات والأعراق والجنسيّات التي هي بدورها تختلف من حيث الموروث الحضاري والثّقافي، ومخاطبتهم

بالإعلام المكتوب لا تتيسر للجميع حتى في عصر العولمة، أمّا الشّعائر فإنّها أشبه ما تكون في خطابها إلى اللّوحة الفنّيّة التي يستطيع الجميع أن يدرك مدى روعتها وجمال تعبيراتها وإن كان هذا الإدراك يختلف بالدّرجة وفقاً للوعي الثّقافي.

٦- خلق عامل وحدوي من خلال المشاركة الجماهيريّة في المواساة لأهل البيت -عليهم السلام-.

ولعلَّ هذا العامل من أهمّ العوامل المستبطنة في أحاديث أهل البيت -عليهم السلام- التي تحثّ على المواساة والحزن في مصابهم، فمن المعلوم في علم النّفس أنّ الإنسان عندما يكون في حالة الحزن، يصبح تأثّره العاطفي سريعاً فيكون على سبيل المثال سريع الرّضا والحب والانفعال، وكذلك إنّ وجود شخص آخر يشاركه المصاب معه يؤدّي مع ما ذكرناه إلى زيادة الألفة والمحبّة والتّودّد بين المشاركين في الشّعائر الحسينية وتقوية أنفسهم على تحمّل أعباء الحياة، وهذا ما يخلق جوّ الوحدة بين المشاركين، الوحدة في المصاب، والوحدة في الهدف، والوحدة في التّسابق لتحصيل الأجر والثّواب في المواساة(٣) .

ومن هنا كانت هذه الشعائر تمثّل أحد الأعمدة التي يقوم عليها المذهب جنباً إلى جنب مع المرجعية الرشيدة التي تمثّل الإدارة والعقل الموجّه في حين أنّ الشّعائر تمثّل العنصر الجامع والموحّد بين أبناء المذهب على اختلاف جنسياتهم وقوميّاتهم .

وعليه يجب أن ندرك أنّ المحارب لهذه الشّعائر لا يخلو من أحد أمرين:

إمّا جاهل مغرور أو طامع معادي يهدف إلى تمزيق وحدة أبناء المذهب، قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -عليه السلام-: **" قصم ظهري رجلان جاهل متنسك وعالم متهتك"**(٤) .

الهوامش:

(١) سورة الشورى: ٢٣.

(٢) عن الإمام الباقر -عليه السلام- قال: "...**يا علقمة واندبوا الحسين -عليه السلام-، وابكوه، وليأمر أحدكم من في داره بالبكاء عليه وليقم عليه في داره المصيبة بإظهار الجزع والبكاء وتلاقوا يومئذ بالبكاء بعضكم إلى بعض في البيوت وحيث تلاقيتم وليعزِّ بعضكم بعضاً بمصاب الحسين -عليه السلام- قلت: أصلحك الله كيف يعزّي بعضنا بعضاً قال: تقولون أحسن الله أجورنا بمصابنا بأبي عبد الله الحسين -عليه السلام-، وجعلنا من الطالبين بثأره مع الإمام المهدي إلى الحق من آل محمد -صلى الله عليه وآله وعليهم أجمعين- وإن استطاع أحدكم أن لا يمضي يومه في حاجة فافعلوا فإنّه يوم نحس لا تُقضى فيه حاجة مؤمن، وإن قُضيت لم يبارك فيها، ولم يرشد ولا يدّخرن أحدكم لمنزله في ذلك اليوم شيئاً فإنّه من فعل ذلك لم يُبارك فيه، قال الباقر -عليه السلام-: أنا ضامن لمن فعل ذلك له عند الله عزّ وجلّ ما تقدّم به الذكر من عظيم الثّواب، وحشره الله في جملة المستشهدين مع الحسين -عليه السلام-**". كامل الزيارات / الشيخ الجليل جعفر بن محمد بن قولويه القمي/ التحقيق: الشيخ جواد القيومي، لجنة التحقيق/ ط: الاولى/ المطبعة: مؤسسة النشر الاسلامي/ ليتوغرافي / ١٤١٧ قم المقدسة.

(٣) عن ابن خارجة عن أبي عبد الله الصادق -عليه السلام- قال: "... **قال الحسين بن علي -عليه السلام-: أنا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن إلا بكى**" . كامل الزيارات / الشيخ الجليل جعفر بن محمد بن قولويه القمي / التحقيق: الشيخ جواد القيومي/ لجنة التحقيق الطبعة: الاولى/ المطبعة مؤسسة النشر الاسلامي/ / ليتوغرافي / ١٤١٧ قم المقدسة/ ص٢١٦.

(٤) عيون الحكم والمواعظ/ علي بن محمد الليثي الواسطي/ تحقيق: حسين الحسني البيرجندي/ الناشر: دار الحديث/ المطبعة: دار الحديث/ ط: الأولى/ ص ٤٧٩.

يالثارات
حسين

ثأر الله

الشيخ محمَّد الفراتي/ باحث اسلامي

وُصِف الإمام الحسين -عليه السلام- بـ(ثأر الله)، و(قتيل الله وابن قتيله)، و(شهيد الله)، و(وتر الله) وغيرها من التّعابير التي قلَّ أن تجتمع لمعصوم غيره، ويظهر من السياق أنَّ القضية مرتبطة بالله -تبارك وتعالى- بشكل مباشر فهو شهيد الله على الحقيقة؛ ولأنّ قضيّته ارتبطت بالله -تعالى- استحال أخذ الثأر له من قبل أهل الأرض كما ورد: **(وأنَّك ثأر الله في الأرض من الدّم الذي لا يدرك ثأره من الأرض إلَّا بأوليائك..)**(١).

إنَّ الله -تبارك وتعالى- وحده تكفّل بأخذ الثّأر، وذلك من خلال اصطفائه لأولياء مخصوصين يعملون على أخذ الثّأر ضمن خطّة إلهية معدّة لهم من الله -عزَّ وجل-.

والسّؤال هو: لماذا أصبحت قضية الإمام الحسين-عليه السلام- بهذا المستوى الخطير الذي ارتبط بالخالق- تعالى-؟

وبعبارة ثانية: ما هو سرّ العظمة في الإمام الحسين-عليه السلام- في أن يكون ثار الله وشهيد الله، ولا يأخذ ثأره أحد إلَّا الله -تعالى- ؟ أومن يخوله الله -تعالى ويأذن له-؟

ماذا فعل الإمام الحسين-عليه السلام- بالتّحديد؟ هل أنَّ العظمة فيما فعله؟ أم فيه؟ أم كلاهما؟

جميع الأنبياء والأوصياء-عليهم السلام- ماتوا أو قتلوا في خطِّ الطّاعة لله -تعالى-، لكن لم تصرّح النّصوص بمثل ما صرّحت به للإمام الحسين -عليه السلام- فما سرّ ذلك؟

إنّ التّأمّل في مثل هذه الأسئلة بل التّأمّل في النّصوص التي أشارت لذلك يفتح لك:

١- حجم الكارثة والمصيبة التي يعجز أهل الأرض من أخذ الثأر لها فهي من الكارثية بمكان ما لا يستوعبه أيُّ أحد من أهل الأرض، فهم لا يصلحون لأخذ الثأر.

٢- أنَّها تحتاج إلى تدخل إلهي عملاق لخلق بشر يتمتع بمواصفات عالية يقود ركباً إلهياً جراراً لآخذ الثأر!!

ولكي نقترب من الإجابة علينا أن نقرّر مجموعة من الثّوابت:

١- إنّ الله -تعالى- يريد أن يُعبد بالطّريقة التي يحدّدها هو -سبحانه وتعالى-، وكلُّ عبادة لا تمرّ ضمن هذا الأخدود فإنّها عبادة لا يرتضيها الله-تبارك وتعالى-، وبالتالي لا يثيب الفاعل إلا النار، والسّرّ في ذلك أنّ الله -تعالى- هو الخالق، ولا يحق لأحد أن يتحدّاه في ملكه، فالذين يريدون عبادته بالطّريقة التي يشتهون خارجون عن خط الطّاعة والتسليم.

٢- ومن الثوابت أيضاً أنّه حدّد العبادات والطّاعات، فلا يحق لأحد أن يضيف أو يحذف من لائحة الله -تعالى- شيئاً؛ لأنّ مفردات اللائحة وضعت وشرعت وفق العدل التّشريعي والتّكويني، ووفق المصالح العامة (بما ينفع النّاس) وإن جَهَلَ الإنسان بهذه المصالح.

وهو -سبحانه- يعد المتعدّي بالزيادة أو النقصان معتدياً على ملكه -سبحانه وتعالى-؛ ولأنّه سيحقق خللاً عاماً يضرّ الناس، ويتّهم الخالق بذلك فيما بعد، ومثل هذا يستحق النار أيضاً؛ لأنّه سيجلب الاتهام على الله -تعالى- ويفوت المصالح العامّة للنّاس.

٣- ومن الأمور الثّابتة أيضاً أنّه -تعالى- لا يرضى بأن تنسب إليه شيئاً لم يشرّعه وإن كان جميلاً، فلا يقبل أن تؤسس ديناً أرضياً من نتاج البشر وتنسبه إلى الخالق-جلَّ وعلا-،أو تشرِّع حكماً، وتقول أنَّه من عند الله-سبحانه-... وهذا أيضاً جزاؤه النار.

وجميع هذه الثّوابت تمّ خرقها من السّقيفة وأتباعها تحت سقيفة بني ساعدة فخارت الأمّة الإسلامية حينها في أكبر أزمة لخرق الثّوابت الإلهية.

واستمرّت حكومة خرق الثّوابت، حتى تدارك أمير المؤمنين علي -عليه السلام- ذلك الأمر أيّام خلافته، ولكن الجماهير هي الجماهير التي اعتادت تلك الحياة، وأي حياة؟!

وبعد فترة الإمام علي -عليه السلام- حصل التّحوّل الجديد في حكومة خرق الثّوابت الإلهية بعدما عادت إلى الحكم من جديد، ولكن هذه المرّة بنزعة شيطانية جديدة تكمن خطورتها من خلال خطّتها وأهدافها، والخطة بكل بساطة ولأوّل مرّة في تاريخ عالم

الانحرافات هي: إنكار وجود الله -تعالى- وإنكار رسله ولكن باسم الله وباسم دينه ورسله!!

فالملحدون كانوا ينكرون وجود الله -تعالى- ولكن تبقى لديهم العديد من الثّوابت الإنسانية يتعاملون بها، والمشركون يعبدون غير الله -تعالى-، ولكن الثابت عندهم هو التّقرّب بالأصنام أو الكواكب إلى الله -تعالى-، والبوذيون واللادينيون عندهم ثوابت إنسانية يقيمون عليها حياتهم الاجتماعية والسياسية.

أما بنو أمية ومن تابعهم وشايعهم فإنّهم أتوا على الثّوابت الإلهية فخرقوها، ولكن باسم الدّين والآلهة !!

وأما الثّوابت الإنسانيّة فإنّهم أبادوها تماماً !! فهم يقتلون حفيد الرّسول تقرّباً إلى الرّسول !! ويلحدون بالله تقرباً إلى الله!!

ولكي لا آخذك يميناً وشمالاً في متابعة المصادر التي توثّق هذه الرّؤية ولكن أرشدك إلى ما هو متداول ومشهور من كتب المقاتل:

- عمر بن سعد يرمي الحسين ويقول: اشهدوا لي عند الأمير أني أوّل من رمى!!

إذن هذه أوّل محاولة لإلغاء الحسين من الوجود وتصفيته، وهو ابن النّبي قربة إلى الأمير المُنصّب من قبل الخليفة، والخليفة يطلب رضا الله في هذه المعركة.

- يذبحون الرّضيع في حجر والده قربة إلى الله.
- يطحنون الموتى بالخيول ويمثلون بهم قربة إلى الله.
- يحرقون الخيام على النّساء قربة إلى الله.
- يقطعون الأيدي قربة إلى الله.
- يسرقون كل شيء و....و... قربة إلى الله.

إنّها عمليات إشاعة المجتمع الهمجي السّفّاحي القائم على إلغاء كلِّ قيد، وإنكار كل القيم سواء كانت القيم إلهية أو أرضية.

فكرتهم هي: إنّ الله -تعالى- يسمح لك بالقتل والسفاح والاعتداء والسّرقة والتّمثيل بالموتى وقتل الأنبياء وأولاد الأنبياء....إذا كان ذلك قربة إلى الله -تعالى- .

ما حصل من الفجائع في كربلاء يخبرك أنّ هذه الفجائع صور عقولهم وقلوبهم، إنّهم يخبرونك أنّهم أرادوا القضاء على الله -تعالى- وبكل ما يمتّ إليه بصلة حتى ولو كان رضيعاً.

لذا يوتر ابن سعد سهمه ويقول: بسم الله وبالله.

ولكن الحقيقة أنّهم كانوا يعبدون غير الله -تعالى- كما جاء في النّصوص: (**اللهم عَذِّب القتلة الفجرة...وعبدوا غيرك**) (٢).

ولذا لم تؤثّر في نفوسهم كلّ المحاولات التي قام بها الإمام الحسين -عليه السلام- مثل نشره المصحف أمامهم، ومثل ارتدائه عمامة رسول الله-صلى الله عليه وآله-، ومثل رمي الدّم إلى السّماء، ومثل الاستغاثات التي كان الغرض منها استدراجهم إلى الحق.

وعليه فلم يكن في قلب الإمام الحسين -عليه السلام- غير الله -تعالى-، ولم يكن قصد القوم إلّا القضاء على الله -تعالى- هذه المرة، ولو كان الله -تعالى- قد تجسد لهم- وهو فرض محال- في كربلاء لقتلوه أيضاً؛ لأنه هو المقصود، فكان دفاع الإمام الحسين عن الله فقط وفقط،(**وبذلَ مُهجتهُ فيك ليستنقذَ عبادكَ من الجهالةِ وحيرةِ الضَّلالةِ**)(٣).

وهذا معنى حديث الوصية الذي أخرجه الشيخ الصدوق : "**.. فقال جبرائيل يا محمد هذه وصيتك إلى النخبة من أهل بيتك... فدفعها النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى سيّد الوصيين، وأمره أن يفكّ خاتماً منها، ويعمل بما فيه، ثم دفعها إلى ابنه الحسن (عليه السلام) ففك خاتماً فعمل بما فيه، ثم دفعها إلى أخيه الحسين (عليه السلام) ففك خاتماً فوجد فيه: أن أخرج بقوم للشهادة لا شهادة لهم إلا معك واشري نفسك لله عزّ وجل**"(٤) أي بع نفسك لله فلم تكن المعركة لنصرة الدّين فقط، ولا التّضحية من أجل الإسلام أو من أجل النّاس وإن كانت هذه العناوين كلها صحيحة بل كان من أجل الله

-تعالى- فقط.

وجميع العناوين الأخرى كانت ثمار تضحيته المباركة كنصرة الدّين وبقاء الإسلام وإحياء النّفوس وإنقاذ الأمة... وبعبارة ثانية: كان للإمام الحسين-عليه السلام- هدف واحد وعملاق وهو التّضحية من أجل الله -تعالى- بعدما عرف أنّ القوم يحاربون لأجل إلغاء وجود الله -تعالى-.

وقد ذكر الله -تعالى- في القرآن الكريم على نحو الإشارة أو اللطائف شيئاً عجيباً إرشاداً للناس إلى الإمام الحسين -عليه السلام-، فإنّه -سبحانه وتعالى- نسب ناقة إلى نفسه فقال: (**هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**)(٥).

ثم اعتبر عاقرها أشقى الأوّلين على الإطلاق!! وذلك؛ لأنّه نسب النّاقة إلى نفسه فمن يستهدفها إنّما يستهدف الله -تعالى-، وعلى الظاهر فإنّ القصة تناولت أحداثاً حصلت في سالف الزّمان، وفي باطنها تحكي قصّة الحسين-عليه السلام-.

فإذا كان عاقر النّاقة أشقى الخلق على الإطلاق؛ لأنّه قتل ناقة الله فكيف بمن قتل الحسين وقد نُسب إلى الله تعالى (قتيل الله) ؟! فهذه الآيات فيها تلويحات عليك أن تظفر بها لتعرف عظمة الحسين -عليه السلام-.

الهوامش:

(١)كامل الزيارات/ الشيخ الاقدم أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمي(ت: ٣٦٨ هـ)/ التحقيق: الشيخ جواد القيومي، لجنة التحقيق/ ط: الأولى/ المطبعة: مؤسسة النشر الاسلامي/ ١٤١٧هـ/ ص٣٥٨.

(٢) المزار الكبير/ الشيخ أبو عبد الله محمد بن جعفر المشهدي/ تحقيق: جواد القيومي الاصفهاني/ نشر: مؤسسة القيوم/ ط: الأولى/ المطبعة: مؤسسة النشر الاسلامي/ ١٤١٩هـ/ ج١ / ص٤٧٥.

(٣) كامل الزيارات/ ص٤٠١.

(٤) بحار الأنوار/ محمد باقر المجلسي(ت١١١١)/ الناشر مؤسسة الوفاء -بيروت -لبنان/ ١٤٢٣هـ/ ج ٣٦/ ص ٢١٠.

(٥) سورة الأعراف/ الآية:٧٣ .

وقفات عند عاشوراء

محمد يوسف/ صحفي

إنّ الحديث عن الإمام الحسين-عليه السلام- حديث يدمي القلوب ويقرح العيون حديث تناقله الأنبياء والأولياء-عليهم السلام- مرَّ العصور والأزمان، وكما أنَّ سيد الشهداء-عليه السلام- قتيل العَبرة فهو قتيل العِبرة، لذلك سوف نسلط الضوء على مجموعة من العِبر التي تورث لنا الخير في الحياة الدنيا والآخرة.

•المحيون للمآتم الحسينية

إنّ لمواكب العزاء الحسينية منزلة رفيعة ومقاماً سامياً جعلت جهابذة العلماء وكبار الوجهاء والشخصيّات يفخرون بالمشاركة فيها أيّما افتخار.

إنَّ مقيمي المآتم الحسينية إنَّما هم في الحقيقة يعزّون الرَّسول الأعظم محمد-صلّى الله عليه وآله-، وفي الحقيقة لا يمكننا مطلقاً أن نتصوّر ما كابد سيّد الشهداء -عليه السلام- في يوم عاشوراء. وقد تراود الإنسان أحياناً بعض الخطرات، ولكن لا يمكن مطلقاً تصوّر ما جرى في ذلك اليوم فعلاً، وليس لنا أن نختصر القضية بالقول: إنّه إمام، والإمام يتمتّع بالصبر ورباطة الجأش. لاشك أنّ الإمام المعصوم -عليه السلام- أرقى وأعقل خلق الله-تعالى-، وله روح عالية تعلو على جميع المخلوقات، لكنّ له قلباً يطفح بعاطفة تسمو على عواطف جميع البشر وإن كانت معقودة بأكمل العقول.

حيث تجرّع الإمام الحسين -عليه السلام- كل هذه المصائب وتحمّل ما لا يطيقه بشر؛ وكلّ ذلك كان بعين الله-سبحانه- التي لا تنام ولكن ستحلّ الساعة التي يُقرّر الله -سبحانه- بحكمته التامّة انتهاء أمر الصبر لتصل النوبة لعدل الله -تعالى- الذي يُعدّ الانتقام من الظالمين أحد فروعه.

•عطاءات عاشوراء

في الواقع، إنّ جلّ ما نملك من مُثُل وقيم هو من بركات تضحيات الإمام الحسين -عليه السلام-. فعاشوراء هي التي غرست في أعماقنا مبادئ الإنسانية والعبودية لله -عزّ وجلّ- والإيثار وخدمة الآخرين والعطف على المستضعفين والدفاع عن المظلومين، ولأجل هذا كلّه يجب أن نبقي جذوة ملحمة عاشوراء متّقدة على الدوام، وأن نبذل مهجنا دونها، لنضمن الرفعة والشموخ لنا وللأجيال من بعدنا.

إننا ننفق في حياتنا اليومية الكثير من الأموال في مختلف الشؤون، وكذلك نصرف الكثير من الجهد والوقت مع الأولاد والزوجة وفي البيت والعمل والتجارة وما إلى ذلك، ولكن لنعلم أنَّ ما ينفق ويبذل في سبيل الإمام الحسين -عليه السلام- هو الأفضل حيث يحظى بمكانة أرفع وقيمة أكثر، ولنعلم أيضاً بأنّ أي خطوة نخطوها في خدمة أهل البيت -سلام الله عليهم-، سنثاب عليها من قبلهم بأفضل الثواب.

• ثواب الحزن على أهل البيت -عليهم السلام-

من المناسب أن نقيّم أعمالنا ونرى ما لمجالس العزاء والحزن على مصاب أهل البيت -سلام الله عليهم- من ثواب من خلال ما ورد في ذلك عن الإمام المعصوم -عليه السلام- ، ففي رواية عن الإمام جعفر الصادق -عليه السلام- أنّه قال: **" نَفَسُ المَهموم لِظُلْمِنا تَسْبيحٌ، وَهَمّهُ لَنا عِبادَة"**(١).

إنّ من يحمل في داخله همّاً عظيماً بسبب ما لحق الإمام الحسين -عليه السلام- من ظلم وإجحاف، تكون أنفاسه كلها تسبيح تسجّلها الملائكة له في صحيفة أعماله، ففي كل نفس يكتب لكم قول: سبحان الله. كما أنّ حزنه عبادة، وبالإضافة لهذين الثوابين هناك ثواب عظيم آخر لكم هو خدمته في هذا الطريق. لذا فمن يتحمّل مشاقَّ وأعباءً أكثر ويضع راحته وسهره في خدمة الإمام الحسين -عليه السلام- ، بطبيعة الحال له أجرٌ أعظم .

• ذخر ليوم الحساب

علينا أن نتزوّد ليوم الحساب مادامت الفرصة سانحة، حيث يقول الإمام علي -عليه السلام-: **"فإنكم لو قد عاينتم ما قد عاين من مات منكم لجزعتم ووهلتم"**(٢).

لهذا، وبسبب انقطاع الأموات عن العمل في الدار الآخرة - من ذكرٍ ينفعهم أو حسنة تضاف لهم - تراهم يتحسّرون ويحسدوننا على كلِّ لحظة من لحظات حياتنا، في حين أننا على العكس منهم، نستطيع أن نصحّح أخطاءنا ونعوّض عما فاتنا.

بعبارة أخرى: إنَّ صلاتنا وصومنا وحسن أخلاقنا ومعاشرتنا في الأسرة والمجتمع وكلّ ما يصدر عنّا من عمل صالح، كلّ ذلك حسابه عند الله -تعالى-، أمّا الخدمة في سبيل الإمام الحسين -عليه السلام- فلها وضع خاصّ عمّا سبق من الأعمال، فهنيئاً لمن ضاعف من خدمته على هذا الطريق.

فكلّ الامتيازات التي خصّ الله -تعالى- بها الإمام الحسين -عليه السلام- لم يخصّ بها أحداً من المعصومين -سلام الله عليهم-، وبعض الأمور التي تكره في مواضع أخرى هي مستحبّة إذا كانت في سبيل الإمام الحسين -عليه السلام- بل تُعدّ فضلاً وثواباً، هذا علاوة على الثواب الإلهي جزاءً على فعل الطاعة.

فالله -تعالى- قد أكرم الإمام الحسين -سلام الله عليه- بقائمة طويلة من الامتيازات، وعلى هذا الأساس، فإنّ أولئك الذين يتحمّلون قسطاً أكبر من الشدائد والصعاب سيغبطهم عليها غيرهم وآخرون يتحسرون لها.

يقول سيّد الشهداء -سلام الله عليه- مخاطباً أصحابه: **"واعلموا أنّ الدُّنيا حُلْوُها وَمُرُّها حُلم"**(٣).

أحياناً يرى الإنسان أحلاماً سعيدة، لكن ما إن يصحو من نومه حتى يتحسّر على كونها مجرّد أحلام، وكذلك الحال حينما يرى كابوساً، يسعد في صحوته لكونه كان كابوساً لا حقيقة، وبالنسبة لنا عندما ننتقل إلى الآخرة سنرى بأنّ الدنيا لم تكن إلّا حلماً قد انتهى،

إلّا أنَّ الخدمات التي قدّمناها على طريق محبة الإمام الحسين -سلام الله عليه- باقية، وكلما كانت هذه الخدمات أكبر كانت فرحتنا أعظم.

• **صيانة المكاسب**

إن للمدرسة الحسينية عطاءً لا ينفد، ومكاسب لا تبلى، وهي تجسّد عظمة سيد الشهداء -سلام الله عليه-. فهو إمامنا ومثلنا الأعلى، فلنرَ ماذا قدّم لنا حتى نسلك طريقه ونتبع أثره، وهاهنا نستعرض بعض المكاسب التي جادت بها المدرسة الحسينية على الإنسانية، علّنا ننتفع بها في حياتنا:

أحد الأعمال التي قام بها الإمام الحسين -سلام الله عليه- هو تقديمه الماء لأصحاب الحرّ الرياحي، وهم جماعة كلّفهم ابن زياد بمهمة اقتياد الإمام الحسين -سلام الله عليه- إليه، والآن لنرَ ماذا فعل أصحاب الحرّ؟ فريق منهم رمى الإمام بوابل من سهامه، وفريق آخر حاربه بالرمح والسيف، وأولئك الذين لم يكن معهم سلاح أمطروه بقطع الخشب والحجارة، كما ساهم بعضهم في قتل علي الأكبر -سلام الله عليه-، ومنهم من رمى أبا الفضل العباس-عليه السلام- بالسهام. وكان الإمام -سلام الله عليه- يعرفهم ويعرف نواياهم، لكن مع ذلك سقاهم الماء.

لنحاول تعلّم هذه الدروس من الإمام الحسين -سلام الله- عليه وهي أن نستعمل ألسنتنا ومواقفنا في فعل الخير دائماً ومع الجميع دون استثناء، فإذا كان باستطاعتنا التفريج عن كربة مكروب فلا نتردد في ذلك، وإذا كان بإمكان المرء أن يساعد بماله أو لسانه أو التوسّط للمساعدة لصالح من يعرفه أو حتى من لا يعرفه، فليفعل.

• **حفظ الأمانة**

إنّ شبابنا هم أمانة الله وأهل البيت -سلام الله عليهم- في أعناقنا، وقد حافظ أسلافنا على الأمانة على أحسن وجه وسلّمونا الدين ومضوا، لذلك علينا أن نسعى بدورنا أن نصون الأمانة الواصلة إلينا على أتمّ صورة، لنسلّمها إلى الأجيال من بعدنا، فلنحاول

أن لا يُحرم أيّ شابّ في محلّتنا أو عشيرتنا أو بين أصدقائنا من المشاركة في الحسينيات ومجالس العزاء، وإذا كنّا نعرف شباباً كهؤلاء فلنشجّعهم على المشاركة في هذه المجالس، ولندفع الشباب نحو المواكب الحسينية والتي هي حبل النجاة من الضلال والجهل بكلّ وسيلة متاحة، ولنكرّر محاولاتنا معهم مرة وثانية وثالثة... وهكذا، ولا نيأس من عدم استجابتهم، حتى ينضمّوا إلى الصفوف الحسينية. فهذه المسألة تحظى بأهمية كبيرة، خاصة في عالم اليوم حيث تحاول وسائل الأعلام المضلّلة وبشكل واسع إغراء الشباب وجذبهم نحوها. وعلينا أن نعلم بأنّ كلّ حسينية هي بيت من بيوت الإمام سيد الشهداء -سلام الله عليه-، فلنحاول تجنيب هذه الحسينيات من أن تتحوّل إلى مسرح لطرح الخلافات والنزاعات، بل على العكس، لنجعل منها أماكن للاجتماعات والوحدة والوئام.

• **الاقتداء بسيّد الشهداء -سلام الله عليه-**

إنّ المشاركة والخدمة في المجالس الحسينية فيها ثواب عظيم، ولكن الأمر لا ينتهي عند هذا الحدّ، فلم يكن يوم عاشوراء مناسبة للندب والتعزية فحسب، بل كان وما يزال وقفة للتأسّي بدروسه والاقتداء بأبطاله، وعليه يجب علينا أن نقتدي بسيد الشهداء -سلام الله عليه- وأن نتأسّى به في جميع شؤوننا.

إن قضية الإمام الحسين -سلام الله عليه- تتميز بميزتين هما العَبرة والعِبرة، وهاتان الميزتان متلازمتان. من هنا، فإنّ الذي يحظى بمنزلة أرفع وحرمة أكبر عند سيّد الشهداء -سلام الله عليه- هو الأقدر على أخذ العِبرة منه -سلام الله عليه- وذرف الدمعة والعَبَرة عليه، وعلى قدر السعي في هاتين المسألتين يكون الثواب والجائزة.

إن الإمام الحسين -سلام الله عليه- باستشهاده قد فتح مدرسة العِبرة للجميع، ليقارعوا الظلم ويتحمّلوا الشدائد والمصاعب حتى يذوقوا طعم السعادة.

فالإمام -سلام الله عليه- أراد أن ينجي العباد من الجهل والضلال والتيه، فإذا أردنا أن

نتقرّب منه أكثر علينا أن نبذل ما نملك في خدمة هذه القضية.

إنّ الإمام الحسين -سلام الله عليه- استشهد من أجل ثلاثة أهداف: أصول الدين، والأحكام الشرعية، والأخلاق الإسلامية، فمن أراد البرهنة على ولائه لسيد الشهداء -سلام الله عليه- وأهدافه السامية عليه أن يسعى لتحقيق هذه الأهداف الثلاثة التي استشهد من أجلها الإمام -سلام الله عليه-، وأن يضعها على رأس أولوياته، لتقرّ عين الإمام الحسين -سلام الله عليه- والإمام المهدي -عجل الله تعالى فرجه الشريف-.

ولنعلم بأنّه على قدر همنا في المضي في هذا الدرب، تكون عنايتهما ولطفهما تجاهنا.

• سبايا أهل البيت -سلام الله عليهم- في ساحة المعركة

حينما أراد جيش عمر بن سعد في اليوم الحادي عشر من محرّم اقتياد السبايا إلى الكوفة، كان الإمام السجّاد -سلام الله عليه- من شدّة ما ألمّ به من مرض لا يقوى على ركوب الناقة، لذلك قاموا بربط رجليه من أسفل بطن الناقة. وعندما اقتيد السبايا من وسط ساحة المعركة، رمت النسوة والصبية بأنفسهم على جثث الشهداء، أمّا الإمام السجّاد -سلام الله عليه- فلم يستطع فعل ذلك، ويقول في هذا الشأن: **فكادت نفسي تخرج وَتَبَيَّنَت ذلك مني عَمَّتي زينب...**

فقالت لي: ما لي أراك تجود بنفسك يا بقيّةَ جدّي وأبي وإخوتي؟

فقال -عليه السّلام-: وكيف لا أجزَع وأهلَع وقد أرى سيّدي واخوتي وعُمومتي وولد عمّي مُصرَّعين بدمائهم مُرمَّلين بالعراء مُسلَّبين لا يُكفَّنون ولا يُوارَون ولا يُعرّج عليهم أحد، ولا يَقرَبُهم بشرٌ، كأنّهم أهلُ بيتٍ من الدَّيلم والخَزَر؟!

فقالت -عليها السّلام-: **لا يُجزعَنّك ما تَرى، فوالله إنّه لَعهدٌ من رسولِ الله -صلّى الله عليه وآله- إلى جدّكَ وأبيكَ وعمّك، ولقد أخذ اللهُ ميثاقَ أُناسٍ من هذه الأمّةِ لا تَعرِفُهم فَراعنةُ هذه الأمّة، وهم معروفون في أهل السماوات، أنّهم يجمعون هذه الأعضاءَ المتفرّقةَ فيوارونها، وهذه الجسومَ المضرّجة، ويَنصِبون بهذا الطفّ عَلماً لقبرِ أبيك سيّد الشّهداء لا**

يُدرَسُ أثرُه، ولا يَعفو رسمُه على كُرور الليالي والأعوام، ولَيجهَدَنّ أئمّةُ الكفر وأشياعُ الضلالةِ في مَحوه وتَطميسه، فلا يزدادُ إلاّ ظهوراً، وأمرُه إلاّ عُلوّاً" (٤).

العقيلة زينب-عليها السلام- صاحبة العصمة الصغرى، ومكانتها تأتي بعد مكانة المعصوم -سلام الله عليه- مباشرة، لذلك عندما رأت الإمام السجّاد -سلام الله عليه- يوشك أن يلفظ أنفاسه، تركت جثث الشهداء وتوجّهت إليه -سلام الله عليه-، وذكرت له بعض الأمور - والتي طبعاً هو أعلم بها- حتى هدأ قليلاً. وقد أخبرت العقيلة زينب ابن أخيها -سلام الله عليهما- بأنّ هذا الحال لن يدوم، فسوف يأتي زمان يقيم أناس مجالس عزاء للإمام الحسين -سلام الله عليه- ويحيون ذكراه. وهكذا أسكنت روعة قلبه الشريف قليلاً.

أسأل الله ببركة سيّد الشهداء سلام الله عليه - هذا الإمام الهمام الذي هو منشأ البركات في الدنيا والآخرة - أن يوفّقنا أكثر فأكثر على طريق خدمته -سلام الله عليه- وأهدافه الرفيعة ومجالسه المباركة. وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله الطاهرين .

الهوامش:

(١) بحار الأنوار/ محمد باقر المجلسي(ت١١١١)/ الناشر مؤسسة الوفاء -بيروت -لبنان/ ١٤٢٣هـ/ ج ٢ / ص ٦٤ .

(٢) المصدر نفسه/ ج ٣٩ / ص٢٤٤.

(٣) المصدر نفسه / ج ١١ / ص ١٥٠ .

(٤) المصدر نفسه/ ج٢٨/ ص٥٧.

يا ثارات الله

يا مظلوم
يا غريب

كيف نتعاطى مع القضيّة الحسينيّة؟

صباح الصافي/ باحث اسلامي

إنَّ الإمام الحسين -عليه السلام- سفير الله -تعالى- وحجته، وهو من العظماء بما لا يحتاج أن نسطّر الكلمات لبيان عظمته، وأنّى لنا أن نقدر على ذلك.

وهذا الأمر يستلزم منَّا أن نتعامل معه -عليه السلام- ومع قضيته تعاملاً دقيقاً للغاية؛ وذلك لمقامه الرّفيع ودرجته العالية، وقد ورد في حديث الإمام الرّضا -عليه السلام- في الكافي في وصف الإمام:

(هل يعرفون قدر الإمامة ومحلّها من الأُمّة، فيجوز فيها اختيارهم؟! إنّ الإمامة أجلّ قدراً، وأعظم شأْناً، وأعلا مكاناً، وأمنع جانباً، وأبعد غَوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم، أو ينالوها بآرائهم، أو يقيموا إماماً باختيارهم) (١).

أي يجب من النّاحية العقائدية أن نتعامل مع الإمام الحسين -عليه السلام- كما نتعامل مع الرّسول الأعظم محمد -صلى الله عليه وآله-، فجميع أحكام النّبي -صلى الله عليه وآله- تنطبق على الحسين -عليه السلام- مثل:

- أطيعوا الرّسول.
- ما آتاكم الرّسول فخذوه.
- آمنوا بالله ورسوله.
- ولكم في رسول الله أسوة.
- النّبي أولى بكم من أنفسكم ... إلى آخره من الأحكام.

مما يعني عدم جواز توهين الإمام المعصوم بأيّ درجة من التّوهين، ويكفي أنّ الجهل بهذه الأحكام إهانة له -عليه السلام-!! فضلاً عن الأمور الأخرى، فقضية الإمام الحسين -عليه السلام- تحتاج إلى تعامل دقيق من الجميع؛ لأنّها ملحمة حافظت على كلِّ القيم الإلهية التي من شأنها سعادة الأكوان بأجمعها؛ ولهذا علينا الاهتمام بمجموعة من الأمور:

١. رفع الجهل عن أنفسنا، ومعرفة الإمام الحسين -عليه السلام- وقضيّته بشكل يتناسب

مع عظمته ومظلوميّته؛ لأنّ الجهل تقصير، والمقصّر يعاقب إمّا في الدّنيا أو في الآخرة، فمن الاحترام والواجب للمعصوم أنّك تتعرّف عليه وتزداد معرفة به كلّ يوم، ويزداد حبّك له على أسس المعرفة فتكون أعمالك لها قيمة معرفية، بل أنّك تؤدّيها بيقين غير ما كنت تؤدّيها عن جهل، ويظهر من الأحاديث الشّريفة أنّ هذه المعرفة واجبة إجمالاً؛ لأنّها فرض من الله -تعالى-، ولأنّها مرتبطة بمعرفة الله -سبحانه-، وهو ما أشارت إليه العشرات من النّصوص التي مضمونها **(من عرفكم فقد عرف الله) (ومن جهلكم فقد جهل الله تعالى)**، ولأنّ هذه المعرفة تؤثّر على الحب، إذ كلّما زادت معرفتك ازداد وخلص حبّك لهم -صلوات الله عليهم-، وبالتالي ازدادت ألطافهم إليك وعنايتهم بك وشفاعتهم لك، فقد رُوي عن الإمام الصادق -عليه السلام- قال: **" بينا رسول الله صلى الله عليه وآله في ملأ من أصحابه وإذا أسود تحمله أربعة من الزنوج ملفوف في كساء يمضون به إلى قبره، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: عَلَيَّ بالأسود، فوُضِع بين يديه فكشف عن وجهه ثم قال لعلي عليه السلام: يا علي هذا رباح غلام آل النّجار، فقال علي عليه السلام: والله ما رآني قط إلا وحجل في قيوده وقال: يا علي إنّي أحبك، قال: فأمَر رسول الله صلى الله عليه وآله بغسله وكفّنه في ثوب من ثيابه وصلّى عليه وشيّعه والمسلمون إلى قبره، وسمع النّاس دويّاً شديداً في السّماء، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّه قد شيّعه سبعون ألف قبيل من الملائكة، كل قبيل سبعون ألف ملك، والله ما نال ذلك إلا بحبّك يا علي، قال: ونزل رسول الله صلى الله عليه وآله في لحده ثم أعرض عنه ثم سوى عليه اللبن..."** (٤).

٢. التّدقيق في الحديث عن الحسين -عليه السلام-، والاحتياط أثناء الحديث كي لا نُسيء إليه من حيث لا نشعر، لاسيّما عند الحديث عن بعض مصائبه في كربلاء-المقدسة.

عن جبلة بن محمد بن جبلة، عن أبيه قال: اجتمع عندنا السيد ابن محمد الحميري وجعفر بن عفان الطائي فقال له السيد: ويك تقول في آل محمد -عليهم السلام-:

مابال بيتكم تخرب سقفه * وثيابكم من أرذل الأثواب

فقال جعفر: ما أنكرت من ذلك ؟ فقال له السيد: إذا لم تحسن المدح فاسكت أتوصف آل محمد صلى الله عليه وآله بمثل هذا، ولكني أعذرك هذا طبعك وعلمك ومنتهاك، وقد قلت أمحو عنهم عار مدحك:

أُقسِمُ بِاللهِ وَآلائِهِ ... وَالمَرْءُ عَمَّا قالَ مَسْؤُولُ

إنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبي طالِب ... عَلى التُّقى والبِرِّ مَجْبُولُ

كانَ إذا الحَرْبُ مَرَتْها القَنا ... وأَحْجَمَتْ عَنْها البَهالِيلُ

يَمْشِي إلى القِرْنِ وَفي كَفِّهِ ... أَبْيَضُ ماضي الحَدِّ مَصْقُولُ

مَشى العَفَرْنا بَيْنَ أَشْبالِه ... أَبْرَزَهُ لِلْقُنّصِ الغِيلُ

ذاكَ الَّذي سَلَّمَ في لَيلَة ... عَلَيْهِ مِيكالٌ وَجِبْرِيلُ

مِيْكالُ في أَلْفٍ وَجِبْرِيلُ في ... أَلْفٍ وَيَتْلُوهُمْ اسرافِيلُ

لَيْلَةَ بَدْرٍ مَدَداً أُنْزِلُوا ... كَأَنَّهُمْ طَيْرٌ أَبابِيلُ

كذا يقال فيه يا جعفر، وشعرك يقال مثله لأهل الخصاصة والضعف، فقبّل جعفر رأسه وقال: أنت والله الرأس يا أبا هاشم، ونحن الأذناب (٥).

من هذه القصة علينا أن نفكّر جيّداً كيف نتعاطى قضية الإمام الحسين -عليه السلام-، وألّا نُسيء إليه معتقدين أنّنا نخدمه، فالحديث عن مصيبة الحسين-عليه السلام- شيء، وإظهاره بمظهر الذّلّة شيء آخر لا علاقة له بالمصيبة فاحذر.

٣. احترام المنتسب إلى الحسين -عليه السلام- شخصاً كان أم شيئاً آخر كالدّار أو الحسينية أو الكتاب أو بعض خدّام الحسين البُسطاء، أو الشّعائر الحسينية أو أي شيء آخر إذ يلزم أن نحترم هذه الأشياء كلّها كما قيل: لأجل عين ألف عين تُكرم.

فمن الأدب الرّفيع أنّك تحترم متعلّقات الإمام الحسين -عليه السلام- وإن كانت في نظرك أشياءً أو أموراً بسيطة إذ تجري مجرى (خذ الغايات واترك المبادئ) فإنّ الأشياء

إنّما أصبحت عظيمة حينما ارتبطت بالحسين -عليه السلام-، والأشخاص أصبحوا أهل وجاهة ومقام بسبب خدمتهم للحسين-عليه السلام-، وليس لك علاقة بعناوينهم الثّانوية، بل احترمهم لأجل سيّد الشّهداء الحسين -عليه السلام- .

إنَّ التعامل مع القضية الحسينية المقدّسة، كمثل من يصعد جبلاً..، فإذا لم يحذر ولم ينتبه الإنسان في صعوده فسينزلق ويتدحرج ويسقط، فاللازم على المؤمنين أن يدركوا جيداً عظمة القضية الحسينية التي هي استثناء في كل شيء إذا ما أرادوا أن ينجحوا في هذا الإمتحان الإلهي الكبير.

الهوامش:

(١) بحار الأنوار/ محمد باقر المجلسي(ت١١١١)/ الناشر مؤسسة الوفاء -بيروت -لبنان/ ١٤٢٣هـ/ جزء ٢٥ / ص١٢١.

(٢) المصدر نفسه / جزء ٣٩ / ص ٢٨٩.

(٣) المصدر نفسه / جزء ٤٧ / ص ٣١٤.

إحياء عاشوراء

مقتطفات من كتاب إحياء عاشوراء لسماحة الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي

إعداد: حيدر فائق/ صحفي

من النّعم البالغة التي أنعم الله -تعالى- بها على بني الإنسان هي نعمة العقل التي ترتقي الى درجة الإدراك، ويزداد هذا الإدراك بتقادم العمر بازدياد العلم والمعرفة، فالشيخ الكبير يمتلك رجحان عقلي مقابل ما كان عليه في مرحلة الشّباب، وهو مرجح عمّا كان عليه في مرحلة الصّبى، والأمر معكوس تماماً مع ما يمتلكه الإنسان من طاقة بدنية تتضاءل مع تزايد العمر، إلّا أنَّ هاتين الطّاقتين (العقلية، والبدنية) تلتقيان عند نقطة عمرية حسّاسة في حياة الإنسان كالمستقيمَين المتقاطعين عند نقطة معيّنة، وهذه النّقطة العمرية هي مرحلة الشّباب خلافاً لمرحلتي الصِّبى والشّيخوخة إذ تتمتّع الأولى بطاقة بدنيّة عالية مع عدم تكامل في الطّاقة العقليّة، أمّا الأخرى فطاقة عقلية عالية مع وهنٍ في الطّاقة البدنية، والأمر في منتهى الحكمة المشير الى عظمة الصّانع العظيم.

إنّ العقل هو الصَّديق الصَّدوق للإنسان الذي يرشده دوماً الى سبيل الرَّشاد، ويحقق له غايات الإصلاح فتلك نعمة لا تُقاس تحتّم على الإنسان شكر المنعم العظيم -تعالى- الذي رزقنا ذلك الصَّديق الصَّدوق...إنّه العقل الذي يختزل الزّمن، والمعلّم في مدرسة الحياة.

إنّ للعقل اعترافات وإقرارات في كثير من المواطن التي رسمها الله -تعالى- في دنيا الإنسان ليتسنّى للإنسان معرفة صحيحها من فاسدها فيتبع الصحيح ويذر الفاسد، أمّا من اتّبع الهوى فيظل في أبسط بديهيّات العقل متحيّراً، وهذه هي مشكلة أغلب البشر على مرِّ الدّهور، جرّت وراءها أردى صور الجهل التي ينفر منها الطّبع الإنساني السّليم، أمثال الاعتقادات الفاسدة والميول المنحرفة التي خلّفت الآهات والويلات من قتلٍ وسفكٍ للدّماء هي خسارة ليست بعدها خسارة، وضياع ليس بعده ضياع .

إنَّ من جملة الأمور والمواطن التي اعترفت بأحقّيّتها العقل والنقل هو ما اعتاد عليه الشّيعة والموالون لأهل البيت -عليهم السلام- في بقاع الأرض، وعلى مرِّ السّنين استقبال شهر محرم الحرام بالحزن والأسى ولبس السّواد ونصب الأعلام في كل مكان

وإكساء المساجد والحسينيات والدّور بالأقمشة السّوداء وتثبيتها على الجدران، وإقامة مجالس البكاء واللطم على الصدور، والسّهر إلى منتصف اللّيالي.

وهذا الحزن ليس أمراً مبتدعاً إذ أنّ المسلمين جميعاً رووا أنّ النبي -صلى الله عليه وآله- بكى على الحسين -عليه السلام- حينما أخبره جبرائيل بأنّه سيُقتل في كربلاء، وإذا كان النبي -صلى الله عليه وآله- بعظمته بكى على الحسين قبل شهادته فكيف بنا نحن المسلمون المأمورون باتّباع النبي-صلى الله عليه وآله-؟!

وللوقوف أكثر على واقعة عاشوراء ومصاب سيّد الشّهداء الحسين بن علي-عليه السلام- لا بُدّ من مقدّمة تمهّد للموضوع:

إنّنا نعرف أنّ الله -تعالى- بعث نبيّه محمداً -صلى الله عليه وآله- لهداية النّاس وإرشادهم إلى طريق الحق والسّعادة في الدّنيا والآخرة، ولقد حدّد الرّسول الكريم -صلى الله عليه وآله- أركان الهداية وسبيل نجاة الأمّة بأمرين لا ثالث لهما وهما: **(كتاب الله المجيد، وعترته أهل بيته)** لقوله -صلى الله عليه وآله-: **(إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض)**(١).

وهذا الحديث مما اتّفق عليه المسلمون في الحديث الصحيح بل المتواتر عند الجميع، لكن أغلب الأمّة مع الأسف تركت أهل البيت-عليهم السلام- ولم تتمسّك بهم، الأمر الذي أدّى إلى ظهور الانحراف في المجتمع بصورة تدريجية، فصارت فريضة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر والتي هي من أهمّ الواجبات الدّينيّة حبراً على ورق، من دون أن يجرأ أحد على تطبيقها أو الحديث عنها، فوصل الأمر إلى أن يعتلي منصّة الحكم ويتربّع على عرش الدّولة بإمرة المؤمنين أمثال يزيد بن معاوية، الشّارب للخمر، والمُجاهر بالمعاصي، ولم يحكم إلا ثلاث سنين، ولكنّها مليئة بالجرائم وسفك الدّماء ففي الأولى قتل الإمام الحسين -عليه السلام-، وفي الثّانية هَجَم على المدينة المنوّرة وقتل أكثر من سبعين صحابيّاً وسبعمائة تابعي في وقعة (الحرّة)، وفي الثّالثة حاصر الكعبة ورماها

بالمنجنيق فهدمها.

فقام الإمام الحسين -عليه السلام- بثورته العظيمة ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويحرّك ضمير الأمّة؛ ليعيد شجرة الإسلام غضة طريّة، يسري في عروقها تعاليم النّبي محمد -صلى الله عليه وآله-.

فأراد الإمام الحسين -عليه السلام- أن يرفع بدمه ودم أولاده وأخوته وأصحابه علماً للهداية، ومناراً لكل من ينشد الإصلاح ويرفض الفساد والظّلم عبر الأجيال.

بعد هذه المقدمة نجيب عن أسئلة أربعة تتبادر في الأذهان والمهمّة في فهم أحداث عاشوراء فهي:

أولاً: لماذا يجب إحياء ذكرى حادثة وقَعَت قبل أكثر من (١٣٦٠) عاماً؟ فهي واقعة وقعت في زمن قديم طوته الأيّام والسنون، فما المسوّغ لإعادة ذكرها في الوقت الحاضر؟

والجواب عن هذا السّؤال ليس بالأمر الصعب؛ إذ أنّه واضح لكل من يتأمّل قليلاً، أفلا ترون أنّ تعظيم الحوادث الماضية واحترامها من الأمور التي دأبت عليها جميع الأمم على وجه الأرض، سواء أكانت تلك الحوادث مرتبطة بأشخاص كان لهم دور في التّقدّم العلمي للمجتمع كالعلماء والمخترعين، أم كانت متعلّقة بأشخاص كان لهم دور في إنقاذ مجتمعاتهم سياسياً واجتماعياً؛ فإعادة ذكرهم إنّما هو من باب العرفان بالجميل لهذه الشّخصيّات، وعرفان الجميل من الأمور الفطرية التي أوجدها الله -تعالى- في النّفس البشرية، فكل واحد منّا يحترم من أحسن إليه وأسدى إليه معروفاً.

إنّ الحوادث العظيمة التي حدثت في تاريخ أي مجتمع لها آثار لا يمكن أن تُنكر لمستقبل ذلك المجتمع، فتجديد الذّكرى لهذه الحوادث هو في واقعه إعادة قراءة لتلك الحوادث كي ينتفع النّاس بها، بل إنّ محاكاة تلك الحادثة له من البركات أضعاف ما يكون لنفس الحادثة حين وقوعها.

ونحن نعتقد بأنّ حادثة عاشوراء حادثة عظيمة في تاريخ الإسلام، ولها دورٌ أساسيٌّ في

تحديد طريق الهداية للناس، وتمييز الحق من الباطل، لذا فإنّ في إحيائها بركات لا تحصى على مجتمعنا في هذا العصر.

أما السّؤال الثّاني: إنّنا لا نشكّ في أنّ إحياء ذكرى الإمام الحسين -عليه السلام- لها فوائد جمّة للمجتمع، ولكن ألا يمكن أن نحيي ذكرى عاشوراء بطريقة أخرى غير هذه الطّرق المتعارفة؟ إذ أنّ إقامة الشّعائر لا ينحصر في البكاء واللّطم ولبس السّواد والبقاء إلى منتصف الليالي، وما يتبع ذلك من إضاعةٍ للأعمال التي يستتبعها أضراراً اقتصادية في البلد؛ لأنّ من يسهر الليل سيضعف حتماً عن العمل في النّهار؛ فلماذا لا نقيم بدل كل ذلك جلسات علمية أو نعقد مؤتمرات أو ندوات وما شابهها، وفي ذلك تذكير للناس بمصيبة الإمام الحسين -عليه السلام- مع أقل ما يمكن من الأضرار؟!

إنّ الجواب عن هذا السّؤال يحتاج منّا أن نرجع قليلاً إلى علم النّفس، لنتعرّف من خلاله على جانب بسيط من (النّفس الإنسانيّة)، ولنرى هل أنّ العوامل التي تؤثّر في السّلوك الاختياري للإنسان تنحصر بالمعرفة فقط،أي بكلام أبسط: هل العلم والمعرفة وحدهما هما المؤثّران في سلوك الإنسان، أم أنّ السّلوك يحتاج إلى عامل آخر غير العلم؟

فنحن عندما نقوم بعمل ما نلاحظ أنّ هناك أمرين دفعانا إلى هذا العمل أو السلوك:

الأمر الأوّل: المعرفة أو العلم، أي بعد أن علمنا الفائدة من هذا العمل وأدركناها عقلاً باستدلال عقلي أو تجربة أو ما شاكل ذلك من الطّرق الأخرى،لكن المعرفة وحدها ليست كافية لتحريكنا نحو أداء العمل المعيّن، بل هناك عامل آخر.

الأمر الثاني: ويُعبّر عنه بـ (العواطف) أو (الميول) أو (الأحاسيس) أو (الدّوافع)، فهذه تساهم في تحريكنا نحو هذا الفعل أو السّلوك المعيّن سواء كان هذا العمل سياسيّاً أم اجتماعيّاً أم...

فالإنسان بحاجة إلى العلم والمعرفة في سلوكه؛ ليتعرّف على الضّار ويميزه عن النّافع،لكن المعرفة وحدها لا تكفي إذ يفتقر الإنسان مع معرفته إلى محرّك يدفعه للقيام

بالأعمال. والمحرّك هو العامل النّفسي أو العاطفة، فمثلاً لو علم شخصٌ أنّ طعاماً ما مفيد له جدّاً لكن لا توجد عنده الشّهيّة الكاملة لأكله، حينئذ لن يستطيع أكله مع علمه بفائدته لبدنه. إذن لابُدّ من توفّر الدّافع والميل كي يحصل الأكل.

إنّ معرفتنا بالدّور المهم الذي أدّته حركة سيّد الشّهداء الإمام الحسين -عليه السلام- في سعادة البشرية، وأنّها ميّزت بين الحق والباطل، وكشفت زيغ الباطل وتجرّده عن كل القيم الإنسانية هذه المعرفة لوحدها لا تحفّزنا لأداء أعمال مشابهة للأعمال التي قام بها سيّد الشّهداء -عليه السلام-، بل إنّ هذه المعرفة تكون مؤثرة متى ما كان معها دافع يدفعنا نحو ذلك العمل، فالمؤتمرات والنّدوات والجلسات العلمية ممكن أن توفّر لنا عنصر المعرفة فقط، لكنّنا نحتاج إلى عامل آخر كي تثمر تلك المعرفة.

فالله -تعالى- خلق الإنسان بشكل تؤثّر فيه المشاهدة أكثر من النّقل والسّماع، فإذا جسّدنا واقعة كربلاء المقدسة بالطريقة المعروفة - كما نفعل اليوم- فإنّ هذا سيترك أثراً أعمق مما تتركه معرفة الواقعة والعلم بها فقط.

أما الأضرار الاقتصادية التي هي في حقيقتها ليست بأضرار، بل هي منافع اقتصادية فضلاً عن كونها روحية ومعنوية فإنّها لا تعادل شيئاً في إقامة هذه الشّعائر، فحفظ الدّين وحفظ رسالة الإمام الحسين -عليه السلام-، ومنهجه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والذّب عن حياض الدّين تحتاج منا بذل الغالي والنفيس.

إذن فالعلم وحده لا يكفي بل لا بُد أن نسمع أو نشاهد مشاهد من تلك الواقعة بشكل ملموسة، كي نستشعر القضية بصورة أعمق، وهذا سيؤدّي إلى معرفة حقيقة عاشوراء وتحريك المشاعر نحوها، مما يؤدّي بالمجتمع إلى الانتهال من نبع ثورة الحسين-عليه السلام- والسّير على نهجها.

وبهذا نعرف أنّ البحث العلمي وحده والنّدوات وحدها لا يمكن أن تؤدّي دور الشّعائر، بل لابُدّ من وجود بعض المشاهد التي تحرّك عواطفنا، فالواحد منّا إذا خرج

صباحاً من داره في اليوم الأوّل من شهر محرم الحرام ورأى معالم الحزن والأعلام السّود قد رفعت على سطوح المنازل، فإنّ ذلك سيترك أثراً في نفسه لا يشبه الأثر الذي يتركه مجرد العلم بأنّه غداً سيكون اليوم الأوّل من شهر محرم، وهذا الأمر في غاية الأهمّيّة لكونه يهيئ الأرضيّة المناسبة لغرس معارف الثّورة الحسينيّة، كما أنّ الفلّاح يقوم بحراثة الأرض تهيئاً لغرس البذور ليكون لها الاستعداد في الحفاظ على نموّ البذور خلافاً للأرض الصّلبة.

السّؤال الثّالث: لماذا البكاء على الإمام الحسين -عليه السلام-، فالبكاء ليس هو الطّريق الوحيد لإثارة عواطف النّاس وأحاسيسها، بل هناك الفرح والسّرور، وممكن أن تُثار بهما العاطفة، فلماذا خصوص البكاء والحزن في المراسيم والشّعائر الحسينيّة؟! بل لماذا اللّطم وضرب الصّدور؟ لماذا لا نحتفل ونوزّع الحلوى بين النّاس لأجل ذلك؟

إنّ الإنسان يضحك في حالات الفرح ويبكي في حال الحزن، ويتألّم في حال الألم و... إلى ما شاء الله -تعالى- من الأحاسيس، وإثارة أي نوع من العاطفة لابدّ أن يكون مناسباً لتلك الحادثة، فلا يمكن للإنسان أن يبكي بكاءً حزيناً ويقول: أنا حزين وأبكي؛ لأنّني فرحان، كما لا يمكنه أن يضحك في حال الحزن!!

فالمهم أنّ نوع العاطفة يتناسب مع نوع الحادثة، وشهادة الحسين -عليه السلام- وأهل بيته وأصحابه في تلك الحادثة المهولة التي أعطت أعظم الدّروس في التّضحية من أجل العقيدة والمبدأ لا يناسبها الفرح والسّرور؛ لأنّها بنفسها حادثة محزنة ومؤلمة غاية الحزن والألم فلابُدّ فيها من عاطفة تلائمها، ولابُدّ من القيام بعمل يثير حزن النّاس، ويجري دموعهم، ويغرس العشق والحماس والحرقة في قلوبهم، والشيء الذي يمكن أن يقوم بهذا الدور في هذه الحادثة هو إقامة مراسم العزاء بينما السّرور والضّحك لا يستطيع أن ينهض بهذا الدّور.

السّؤال الرّابع: آمنّا معكم بأنّ تاريخ أبي عبدالله الحسين -عليه السلام- تاريخ مشرق

يجب تخليده، ولابدّ من إقامة العزاء في ذكراه، إلا أنّكم في عزائكم هذا تفعلون أمراً آخر، وهو أنّكم تلعنون أعداء الحسين وقتلته، وهذا إحساس سلبي لا يصنع منّا أناساً متحضّرين، فعلينا أن نتعامل مع جميع النّاس بوجه حسن؛ بالابتسام إليهم، والتّسامح معهم، فالمجتمع اليوم لا يستسيغ هذه الأعمال، علماً أنّ الإسلام دين محبّة وتسامح ورحمة ورأفة؟

والجواب على ذلك: إنّ من يطرح هكذا أفكار إن كان جاهلاً وينطق عن جهله، فمن السهولة إجابته إلّا أن الكثير ممّن يطرح هذه الأفكار إنّما لهم أغراض خاصة أو يريدون تنفيذ ما يخطّطه الآخرون، لكننا نفترض أنّ السؤال سؤال علمي، فلابُدّ حينئذ من الإجابة عليه بصورة علمية، مهما كان مصدره، ويمكن الإجابة عنه:

إنّ النّفس البشرية كما أنّها لا تحتوي على العلم فقط بل لابدّ لها من العاطفة أو الأحاسيس، فهي في نفس الوقت لا تحتوي على الأحاسيس الإيجابية فقط، بل ضمّت أحاسيساً سلبية كذلك، فكما أنّ الفرح قد غرس فينا فكذلك الحزن، فالله -تعالى- أوجد فينا قابلية الضّحك كما أوجد قابلية البكاء، ولكلٍّ منهما دور في حياة الإنسان، فنحن نحتاج إلى الضّحك في محلّه، ونحتاج للبكاء في محله، فإذا عطّلنا أحدهما فإنّنا عطلنا جزءاً من وجودنا وسيصبح خلقه فينا لغواً حينئذٍ.

كما أنّ الله -تعالى- خلق فينا المحبّة لنبرزها للآخرين الذين يخدموننا أو للأفراد الذين يملكون كمالاً ما، سواء كان كمالاً جسدياً أو روحياً أو عقلياً، فعندما يتعرّف المرء على إنسان يمتلك كمالاً ما فإنه ينجذب إليه، كما يوجد في الإنسان شيء يقابل المحبة موجود في فطرته وهو البغض والعداوة، يبرزه الإنسان لمن أراد به السوء والأذى، وهذا أمر فطري.

وليس هناك عدوّ أعدى من الذي يريد سلب الدّين عن الإنسان، فهذا العدو هو أشدّ الأعداء ضراوة؛ لأنّه يريد سلب السّعادة الأبدية من الإنسان، قال الله -تعالى-: ﴿إِنَّ

الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا)(٢)، فالشيطان عدو لنا؛ لأنّه يريد سلب ديننا عنّا، ولا يمكن في حال من الأحوال أن نتصالح مع الشّيطان، وإذا حدث أن تصالح إنسان مع الشّيطان فسينقلب ذلك الإنسان بنفسه ويصير شيطاناً، ولا بُدّ حينئذٍ من معاداة أعداء الله؛ لأنّ الإنسان إذا لم يعاد أعداء الله ويبغضهم سيصبح بالتّدريج منهم، ويكون سلوكه كسلوكهم، وسيقبل أعمالهم وأفعالهم وأقوالهم، نتيجة لمعاشرته لهم.

إلا أنّ الله -تعالى- يأمر الإنسان بالابتعاد عن الذين يسيئون في الدّين ويستهزئون به إذ يقول -تعالى-: (**وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ**)(٣)، يعني اترك الذين يهينون الدّين ويستهزئون به، أمّا الذين يداهنون ويجاملون على حساب الدّين فأولئك مبعدون عن طاعة الله وأنّه -تعالى- سوف يحشرهم مع من باعوا دينهم لأجلهم (**إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا**)(٤).

فعقاب كل من أحب الذين يستهزئون بالدّين أن يُحشر يوم القيامة مع المنافقين، وكلا الفريقين المستهزئ والمنافق في النّار، والسبب واضح؛ لأنّ من يحب ويودّ المستهزئ بالدّين المستهين به فإنّه بالتدريج سيتأثر بأفكاره وكلامه، وحينئذ سيُحدث كلامه شكّاً في نفس ذلك المحب، وإذا حدث الشّكّ في نفسه مع كونه يظهر الإسلام فسيكون ذلك نفاقاً؛ لأنّ النّفاق هو إظهار شيء من واقع حياتنا.

إننا إذا نظرنا الى جسم الإنسان فإنّا نجد أنّه مركب على هيئة بحيث يستطيع أن يستقبل المواد المفيدة إليه لغرض البناء والنّمو، وفي نفس الوقت هو مجهّز بنظام دفاعي يُعرف بالجهاز المناعي يقوم بطرد الميكروبات والجراثيم ويقاومها، وإذا ضعف هذا النّظام الدّفاعي وتغلبت الجراثيم فهذا سيؤدّي إلى الموت حتماً، فلا يمكن أن نقول: إن هذه الجراثيم والميكروبات ضيف عزيز على الجسم يجب استقباله واحترامه والتّرحيب به؛ لأنّ في ذلك هلاكاً للجسم.

وهذه سنّة إلهيّة فقد جعل الله -تعالى- لكل كائن حي نظامين؛ نظاماً للجذب وآخر

للدفع، نظاماً لجذب الأمور المفيدة، وآخر لدفع وطرد الأمور المضرّة والخطرة، وكذا الآخر في نفس الإنسان وروحه، فهكذا استعداد لكلا الأمرين موجود فيها بالفطرة حتى تستقيم النّفس فلا بُدّ من عامل جذب نفسي نتقبل به الأفراد المفيدين لنا، ونتقرب إليهم، ونتعلّم منهم، وفي المقابل لابُدّ من عامل دفع وطرد نعادي به الأفراد المضرّين لمصير المجتمع، قال الله -تعالى- في وصف نبيّه إبراهيم -عليه السلام-: **(قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ)**(٥)، فالقرآن يحثّنا على التّأسّي بإبراهيم -عليه السلام- وأصحابه، إذ إنّ النبي إبراهيم -عليه السلام- له منزلة خاصّة في الثّقافة الإسلامية، بل إنّه هو الذي أطلق اسم الإسلام على ديننا **(هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ)**(٦)، فلننظر ماذا فعل إبراهيم -عليه السلام- مع قومه الذين عادوه وأصحابه، وأخرجوهم من ديارهم حيث قالوا لهم: **(إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ)** أي إنّهم أعلنوا البراءة منهم ومن أفعالهم.

ولم يكتفِ إبراهيم -عليه السلام- وأصحابه بذلك بل قالوا لهم: **(كَفَرْنَا بِكُمْ)**، فالذي نفعله نحن بلعننا لأعداء الحسين وأعداء الإسلام إنّما هو تأسٍّ بإبراهيم -عليه السلام- وأصحابه، والقرآن يأمرنا بذلك ويقول: أعلنوا براءتكم من أعداء الدّين، فليس من الصحيح أن يكون الإنسان مبتسماً على الدّوام مع كل أحد وفي كل الظروف، بل عليه وفي بعض المواقف أن يكون عبوساً مع كل من يريد هدم الدّين والاستهزاء به، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): **"تقربوا إلى الله تعالى ببغض أهل المعاصي، والقوهم بوجوه مكفهرة، والتمسوا رضا الله بسخطهم، وتقربوا إلى الله بالتباعد منهم"** (٧).

لذا يتوجّب علينا أن نتعرّف بالدّقة على الموارد التي تخدم الدّين عن تلك التي تسيء له؛ لأنّها في كثير من الموارد تختلط بعضها ببعض، بل قد تصبح على العكس، فنقوم بدفع ما يجب تقريبه أو تقريب ما يجب دفعه، فمثلاً لو أنّ شخصاً كان يحمل مفاهيم خاطئة ثم

بيّنا له خطأه واقتنع ورجع عن خطئه فمثل هذا الشّخص لا يصحّ أن نعاديه، إذ مجرد ارتكاب الشخص لذنب معيّن لا يصح أن نعاديه ونرفضه من المجتمع لمجرد جهله عن الحقيقة بل لابدّ من تعليمه وإرشاده .

أما الشّخص المتعمّد والذي يروّج الفحشاء والمنكر، ويعلن عداوته لأولياء الله ففعله هذا خيانة وخبث، وعلينا أن نعاديه وندفعه.

لذا لابُدّ أن يفهم أنّ إحياء مراسم عاشوراء هو تجديد لرسالة الحسين -عليه السلام-، للاستفادة منها بأفضل ما يمكننا استفادته، ولا يمكن أن نكتفي بالبحوث والنّدوات العلميّة؛ لأنّ الإنسانية بحاجة إلى عواطف تسير جنباً إلى جنب مع العلم والمعرفة، كجناحي الطّائر فلا يكفي أحدهما، كما لا يصحّ أن نستقبل عاشوراء بعواطف الفرح والسّرور؛ لأنّها لا تتناسب مع الطّبيعة المأساويّة المروّعة ليوم عاشوراء، وبالتالي فكما يجب حبّ أبي عبد الله الحسين -عليه السلام- وتولّيه يجب أيضاً البراءة من أعدائه ولعنهم، فلا يمكننا أن نستفيد من بركات الحسين-عليه السلام- ما لم نزح أعداء الحسين عن أنفسنا، فالتّولّي والتّبرّي هما شيئان متلازمان عند المحب الصادق وإلّا مجرّد التّولّي لا يعبّر عن صدق الحب والتّقرب، قال الإمام عليّ بن أبي طالب(عليه السلام): **"لا يجتمع حبّنا وحبّ عدّونا في جوف إنسان"**(٨)، هذا لمن أراد الصّلاح والهداية وأما الزّاهد بهما راغب الى الدّنيا فله ما كسبت يداه .

الهوامش:

١- بحار الأنوار/ محمد باقر المجلسي(ت١١١١)/ الناشر مؤسسة الوفاء -بيروت -لبنان/ ١٤٢٣هـ/ ج ٥ / ص ٢١ .

٢- سورة فاطر: الآية ٦ .

٣- سورة الأنعام: الآية ٦٨ .

٤- سورة النساء: الآية ١٤٠ .

٥- سورة الممتحنة: الآية ٤ .

٦- سورة الحج: الآية ٧٨ .

٧_ميزان الحكمة/ محمد الري شهري. / قم: دار الحديث/ ١٤١٦ هـ/ التحقيق: دار الحديث/ المطبعة: دار الحديث/ ط: الأولى/ ج٣/ ص٣٢٨.

٨_ المجلسي/ المصدر السابق/ ج ٢٤ / ص٣١٨.

من عطايا سيّد الشهداء

أحمد عبود الكريطي/ صحفي

أرض خُلطت بدم الحسين _عليه السلام_ ونالت شرف دفن الجسد الشّريف فيها لهي أرض مقدّسةٌ خُلِّدَت بخُلود الشّهيد واستمرّت ببركات دمه الطّاهر الذي خالط ترابها فتطهّرت بدم الحسين في ظهيرة عاشوراء يوم استشهاده-عليه السلام-، وعلت منزلتها على كل بقاع الأرض لما جرى فيها من ملاحم بطولةٍ وإيثارٍ اهتزّ لها الوجود الإنساني أجمع وشعّ منها ضوء الحق الذي أنار دروب كلّ الأحرار على مدى الدّهر وتناوب الأزمان.

أرض كربلاء ليست مجرّد بقعة مكانية شهدت أحداثاً تاريخية تراجيدية مؤلمة جرت في الماضي وانتهت، أو هي واقعة بطوليّة لمجموعة من الثّائرين أخذت شُهرتها ومكانها في كُتب التّاريخ وانطوت، لا فهي كربلاء التي لازال دم شهدائها وهو يسقط على ترابها يجلل أسماع كل طالب حرّية ومفجّر ثورة وصانع انتصار، لازال هذا الدّم الذي يشخب أرضها يقض مضاجع الظّالمين، ويرسم خطّ حرّيةٍ لكلّ الشّعوب والحضارات البشرية، فكربلاء تعني النهضة التي لا تنتهي والخير المتّقد، والإيمان العامر في القلوب، والهداية التي تنفذ الى كل ذي بصيرة مهما جرت الخطوب وتقادم الزّمان.

وقول الإمام الصادق-عليه السلام- عن فضل كربلاء المقدسة لهو خير شاهد على أنّها الأرض التي شرّفها الله-تعالى- وحباها على سائر بقاع الأرض، إذ يقول-سلام الله عليه-:

" عن صفوان الجمال قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: " ... **إن كربلا وماء الفرات أول أرض وأول ماء قدس الله تبارك وتعالى وبارك عليها فقال لها: تكلمي بما فضلك الله ! فقالت لما تفاخرت الأرضون والمياه بعضها على بعض قالت: أنا أرض الله المقدسة المباركة الشفاء في تربتي ومائي ولا فخر، بل خاضعة ذليلة لمن فعل بي ذلك، ولا فخر على من دوني، بل شكرا** " لله، فأكرمها وزادها بتواضعها وشكرها لله بالحسين عليه السلام وأصحابه، ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر

وضعه الله "(١).

كربلاء القضية التي تهزّ عروش الظالمين

لقد عزم الطّغاة الظّلمة على محو اسم كربلاء، وأذاقوا كثيراً من الناس مختلف الآلام جرّاء ذكرهم لقضية كربلاء وإحياء اسم سيّد الشهداء -سلام الله عليه-، بل وصل الأمر بهم أن قتلوا كثيراً من المؤمنين بعد أن عذّبوهم بسبب إنشاد بيت واحد من الشّعر في حقّه -سلام الله عليه-، ولكن مشيئة وإرادة الله تعالى في إتمام نوره منعتهم من طمس شمس الحرّيّة بغربال فسادهم.

فها هي العقيلة زينب-عليها السلام- تحدّث ابن أخيها الإمام زين¬ العابدين -عليه السلام- في الحادي عشر من المحرّم لمّا رأته يجود بنفسه: **"لا يجزعنّك ما ترى فوالله إنّ ذلك لعهد من رسول الله -صلى الله عليه وآله- إلى جدّك وأبيك وعمّك، ولقد أخذ الله ميثاق أُناس من هذه الأمّة لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض، وهم معروفون في أهل السماوات أنّهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرّقة فيوارونها وهذه الجسوم المضرّجة، وينصبون لهذا الطّف علماً لقبر أبيك سيّد الشّهداء، لا يدرس أثره ولا يعفو رسمه على كرور الليالي والأيام، وليجتهدنّ أئمّة الكفر وأشياع الضّلالة في محوه وطمسه، فلا يزداد أثره إلاّ ظهوراً، وأمره إلاّ علوّاً"**(٢).

فإذا كان قانون الطّبيعة الذي يجعل من أيّ ظاهرة أو شعيرة تتعرّض الى الكبت والطّمس المتعمّد والظُّلم الى تقليلها أو ربما الى ذوبانها ونفيها فإن قضية كربلاء لا تخضع لهذا القانون فهي تسير مع هذا الكبت والظلم بعلاقة طرديّة تجعل من ذكر اسم الحسين- عليه السلام- وإقامة الشّعائر في ذكرى شهادته تزداد عدداً، وتُصبح أكثر زحماً بالمحبّين والمهتدين بهذه النهضة الكربلائية.

عطاء سيد الشهداء-عليه السلام-

إنّ من بركات سيّد الشّهداء -سلام الله عليه- أنّه يكافئ كلّ من يقدّم شيئاً في طريقه،

وبالمقابل -والعياذ بالله - فإنّه يُجازى في الحياة الدّنيا كلّ من يخطو خطوة في محاربته أو يكتب كلمة تحول دون خدمته، ناهيك عن جزاء الآخرة.

إنّ الملفت للنظر عند تتبّع أحوال حواريي رسول الله -صلى الله عليه وآله- أمثال أبي ذر الغفاري، أو حواريي أمير المؤمنين والإمام الحسن وحواريي الأئمة الأطهار -عليهم السلام- لا نجد ولو زيارة واحدة تتضمّن ذكرهم على جلالة قدرهم، أمّا بالنسبة لأصحاب الإمام الحسين فقد ورد ذكرهم في زيارته -سلام الله عليه- (**اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا اَوْلِياءَ اللهِ وَاَحِبّائَهُ، اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا اَصْفِياءَ اللهِ وَاَوِدّاءَهُ، اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا اَنْصارَ دينِ اللهِ، اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا اَنْصارَ رَسُولِ اللهِ، اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا اَنْصارَ اَميرِ الْمُؤْمِنينَ، اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا اَنْصارَ فاطِمَةَ سَيِّدَةِ نِساءِ الْعالَمينَ، اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا اَنْصارَ أَبي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْوَلِيِّ النّاصِحِ، اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا اَنْصارَ اَبي عَبْدِاللهِ، بِاَبي اَنْتُمْ وَاُمّي طِبْتُمْ وَطابَتِ الاَرْضُ الَّتي فيها دُفِنْتُمْ، وَفُزْتُمْ فَوْزاً عَظيماً، فَيا لَيْتَني كُنْتُ مَعَكُمْ فَاَفُوزَ مَعَكُمْ**).

هكذا يصنع القرب من الإمام الحسين -سلام الله عليه-.

الحسين باقٍ والطغاة زائلون

إنَّ المآثر التي أتى بها سيّد الشهداء عليه السلام- هي مآثر خالدة لا تنمحي ولا تندرس، وستظلّ باقية على طول التاريخ، إنّها بلا شكّ معجزة إلهية لم تُتح لأحد غير سيّد الشّهداء -عليه السلام-.

إنَّ الحياة مدار صراع بين الخير والشّر، يحاول كل من منهما قهر الآخر والتّغلّب عليه، ولكن صولة الحق هي الباقية على الدّوام وإن بدى أحياناً أنّ للباطل سطوته على رقاب الأمّة ومعركة الإمام الحسين -عليه السلام- في كربلاء تندرج تحت هذا السّياق فالإمام الحسين-عليه السلام- هو الخير، وأن أعداءه الذين قاتلهم في كربلاء والذين جاءوا بعد شهادته الى يومنا هذا هم الشّر المعادي لهذا الخير المطلق.

الإمام الحسين-عليه السلام- هو نور لكل طالب خلاص من عتمة الظلم والقهر على

اختلاف دينه وعقيدته .

نقطة مهمّة

هناك ملاحظة ينبغي الالتفات إليها، وهي أنّ أعداء الإمام الحسين-عليه السلام-على مدى التاريخ كانوا من أصحاب القوة والنفوذ، من جملتهم هارون والمتوكّل اللَذينِ كانا على رأس أعظم إمبراطورية على وجه الأرض، وكانا يحظيان بالمال والسّلاح والسّطوة، وعملَا بكلّ استطاعتهما على محو اسم الإمام الحسين-عليه السلام- وذكره لكنّهما لم يفلحا، فبقي اسمه يتردّد على كل لسان وذكره حيّاً في ضمائر الشعوب.

لقد عقد أعداء الإمام بدءاً بابن سعد وابن زياد ويزيد وغيرهم العزم على محو ذكره، ووظّفوا كل قدراتهم وطاقاتهم لتحقيق هذا الهدف، فكان مصيرهم الاندثار والسقوط في مزابل التاريخ.

الهوامش:

١- بحار الأنوار/ محمد باقر المجلسي(ت١١١١)/ الناشر مؤسسة الوفاء -بيروت -لبنان/ ١٤٢٣هـ/ ج ٩٨ / ص ١٠٩.

٢-كامل الزيارات/ المؤلف: الشيخ جعفر بن محمد بن قولويه/ التحقيق: الشيخ جواد القيومي/ ط: الأولى/ المطبعة: مؤسسة النشر الاسلامي/ ١٤١٧هـ/ ص٤٤٥.

أضواء على مجالس البكاء

السيد أبو جعفر الموسوي/ خطيب حسيني

مهما بلغ غير المعصوم من مقام ورفعة في مجال العبادة والإخلاص لله-تعالى- في دنيا الاختبار لا يمكنه إحراز الثّبات وعدم الزيغ عن الصّراط القويم بارتكاب المعاصي ومخالفة أوامر المولى -جلَّ وعلا- .

ولكي لا يشعر المذنب بالإحباط ولا ييأس من الرّحمة الإلهية فتح له المولى الكريم-سبحانه- باب التّوبة والإنابة قائلاً: (**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**)(١)؛ ليشعر بالأمان، ويرجع الى الله الكريم الرحمن، ويرجو منه اللطف والإحسان، ويسأل منه العفو والغفران.

كما جعل الله-تعالى- سبلاً للتوبة، ومن هذه الوسائل ابتغاء الوسيلة فقال: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ**)(٢)، وقال -تبارك وتعالى-: (**أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا**)(٣).

ثم بيَّن النبي -صلى الله عليه وآله- وأهل بيته- صلوات الله عليهم- الوسائل التي يتوسط بها إلى الله -سبحانه وتعالى-، ومنها التّمسّك بولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب-عليه السلام-، ومنها البكاء على سيّد الشّهداء الإمام الحسين-عليه السلام-، عن النبي -صلى الله عليه وآله-: "**الأئمة من ولد الحسين (عليهم السلام) من أطاعهم فقد أطاع الله، ومن عصاهم فقد عصى الله، هم العروة الوثقى والوسيلة إلى الله**" (٤)

وعن أبي جعفر -عليه السّلام- قال: " **كان عليّ بن الحسين -عليهما السلام- يقول: أيّما مؤمنٍ دمعتْ عَيناه لقتل الحسين بن عليٍّ -عليهما السلام- دمعةً حتّى تسيل على خدِّه بوَّأه الله بها في الجنّة غُرفاً يسكنها أحقاباً، وأيّما مؤمن دَمَعَتْ عيناه حتّى تسيل على خَدِّه فينا لأذىً مسّنا مِن عَدوِّنا في الدُّنيا بوَّأه الله بها في الجنّة مبوَّأ صِدقٍ، وأيّما مؤمن مَسَّه أذىً فينا فَدَمَعَتْ عيناه حتّى تسيل على خَدِّه مِن مَضَاضةِ أُوذي فينا صرَّف اللهُ عن وجهه**

الأذى وآمنه يوم القيامة مِن سَخطه والنّار"(٥)

وقد يُتصور أنّ شرعيّة واستحباب البكاء على الإمام الحسين-عليه السلام- هي مجرد تعبير عن العواطف والأحاسيس النبيلة، التي يشعر بها الإنسان المؤمن الموالي لأهل البيت-عليهم السلام-، ويعبر بها عن ولائه وحبّه لهم-عليهم السلام-، ويقف عند هذا الحد، وهذا الشيء وإن كان محبوباً ومطلوباً ويُثاب عليه الإنسان، ولكنه واحد من الأهداف الذي استهدفه أهل البيت-عليهم السلام- من إيجاد هذه الشّعائر، وإنّما هناك هدف أسمى وأعظم وأكثر قبولاً من وراء هذه الشّعائر والأحاسيس والمشاعر، تمثل الطاقة المحرّكة للإنسان باتجاه تلك الأهداف النّبيلة التي وضعها أهل البيت-عليهم السلام-.

وهذه الأهداف يمكن أن نخصها بأهداف نهضة الإمام الحسين-عليه السلام-، حيث جعل أهل البيت-عليهم السلام- الإمام الحسين-عليه السلام- محوراً لهذه المجالس والشعائر والزيارات والبكاء والعواطف والأحاسيس.

وهذه الأهداف والمضامين يمكن أن نصل إليها من خلال هذه الاجتماعات وإحياء المجالس التي أمرنا بها أئمتنا الأطهار، حيث قال إمامنا الصادق -عليه السلام-: **(تلاقوا وتحادثوا العلم، فإنّ بالحديث تجلى القلوب الرائنة، وبالحديث إحياء أمرنا، فرحم الله من أحيا أمرنا)**(٦)، وذلك عندما يتحدّث المتحدّثون، ويستمع المستمعون، ويتداولون المضامين والمفاهيم الإسلامية من خلال المجالس الحسينية بحيث تخرج هذه الجماعة بنتائج تربوية وثقافية وروحية تجعل منها جماعة صالحة، وقدوة للمسلمين وللبشرية بشكل عام، كما أراد أهل البيت-عليهم السلام-.

ويمكن إيجاز بعض فوائد المجالس الحسينية وأثرها في المجتمع بالنّقاط الآتية:

١ـ هذه المجالس تكون كالمدارس، فإنّ الخطيب يلقي على الحاضرين فيها أحكام الدّين، والتاريخ الإسلامي، وتاريخ الأنبياء وأممهم، ويتناول تفسير القرآن الحكيم، ويتكلم

حول التّوحيد والعدل الإلهي والنّبوّة والإمامة والمعاد، وأخلاق المسلم وما يجب أن يتّصف به المؤمن، ويبين للمستمعين فلسفة الأحكام وعلل الشّرائع ومضار الذّنوب، ويقايس الإسلام بسائر الأديان ويثبت بالدّليل والبرهان تفوّقه وامتيازه على المذاهب والأديان.

٢ـ يشرح الخطيب سيرة رسول الله -صلى الله عليه وآله- وتاريخ حياته وسيرة أهل بيته-صلوات الله عليهم- والصحابة والصالحين، فيلفت الخطيب أنظار مستمعيه إلى النّقاط المشرقة الهامّة من ذلك التاريخ، فيأخذ الحاضرون دروساً وعبراً منه يطبّقونها في حياتهم الشّخصية وسيرتهم الاجتماعية.

٣ـ يتناول الخطيب تاريخ النّهضة الحسينية، ويبيّن أسبابها وأهدافها، ويشرح آثارها والدّروس التي يجب على المسلم أن يأخذها من تلك النّهضة المقدّسة، ويدعو الخطيب المستمعين إلى تطبيق أهداف الإمام الحسين-عليه السلام- وإحياء ثورته وتكرارها ضد الظّلم والظّالمين في كلّ زمان ومكان.

٤ـ في كل عام يهتدي كثير من الضّالين والعاصين، فيتوبون إلى الله -تعالى-، ويسلكون الصّراط المستقيم، ويصبحون من الصّالحين المهتدين، حتى إن في بعض البلاد التي تسكنها الشّيعة والكفار مثل بلاد الهند والبلاد الأفريقية، أسلم كثير منهم بعدما حضروا في المجالس الحسينية وعرفوا تاريخ الإسلام وأحكامه وسيرة رسول الله -صلى الله عليه وآله- وأهل بيته-عليهم السلام- وأخلاقهم الحميدة.

٥. إنَّ البكاء على سيّد الشّهداء إنّما يفيد ويوجب الأجر الكثير والثّواب العظيم، كما صرّحت رواياتنا بذلك عن رسول الله -صلى الله عليه وآله- وعن أئمتنا الطاهرين- عليهم السلام- عن الحسن بن عليٍّ بن أبي حمزة عن أبيه، عن أبي عبدالله -عليه السلام- قال: سمعته يقول: **"إنَّ البكاء والجزع مكروهٌ للعبد في كلِّ ما جزع ما خلا البكاء والجزع على الحسين بن عليّ عليهما السلام، فإنّه فيه مأجورٌ"** (٧)

وعن مِسْمَع بن عبدالملك كِرْدين البصريّ قال: " قال لي أبو عبدالله -عليه السلام- : يا مِسْمع أنت مِن أهل العِراق؛ أما تأتي قبر الحسين عليه السلام؟ قلت: لا؛ أنا رَجلٌ مشهورٌ عند أهل البصرة، وعندنا مَن يتّبع هوى هذا الخليفة، وعدوّنا كثير مِن أهل القبائل مِن النُّصّاب وغيرهم، ولستُ آمنهم أنْ يرفعوا حالي عند ولد سليمان فيُمثِّلون بي، قال لي: أفما تذكر ما صنع به؟ قلت: نعم، قال: فتجزع؟ قلت: إي والله واستعبر لذلك حتّى يرى أهلي أثر ذلك عليَّ فأمتنع مِن الطّعام حتّى يستبين ذلك في وَجهي، قال: رحِمَ الله دَمعتَك، أما إنّك مِن الَّذين يُعدُّون مِن أهل الجزع لنا، والّذين يفرحون لِفَرحِنا ويحزنون لِحُزننا ويخافون لِخَوْفنا ويأمنون إذا أمنّا، أما إنّك سترى عند موتك حضور آبائي لك ووصيّتهم ملكَ الموت بك، وما يلقّونك به مِن البشارة أفضل، ولملك الموت أرقّ عليك وأشدُّ رَحمةً لك من الأُمّ الشّفيقة على ولدها، قال: ثمَّ استعبر واستعبرتُ معه، فقال: الحمد لله الّذي فضّلنا على خلقه بالرَّحمة وخصَّنا أهل البيت بالرَّحمة، يا مِسّمَع إنَّ الأرض والسَّماء لتبكي مُنذُ قُتل أمير المؤمنين عليه السلام رَحمةً لنا، وما بكى لنا مِن الملائكة أكثر وما رَقأتْ دُموع الملائكة منذ قُتلنا، وما بكى أحدٌ رَحمةً لنا ولما لقينا إلاّ رحمه الله قبل أن تخرج الدَّمعة من عينه، فإذا سالَتْ دُموعه على خَدِّه، فلو أن قطرةً مِن دُموعه سَقَطتْ في جهنَّم لأطْفَئتْ حَرَّها حتى لا يوجد لها حَرٌّ، وإنّ الموجع لنا قلبه ليفرح يوم يرانا عند مَوته فرحَةً لا تزال تلك الفرْحَة في قلبه حتّى يرد علينا الحوض، وإنّ الكوثر ليفرح بمحبِّنا إذا ورد عليه حتّى أنّه ليذيقه مِن ضروب الطَّعام ما لا يشتهي أن يصدر عنه، يا مِسْمع مَن شرب منه شَربةً لم يظمأ بعدها أبداً، ولم يستق بعدها أبداً، وهو في بَرْدِ الكافور وريح المِسْك وطعم الزَّنجبيل، أحلى مِن العَسل، وألين مِن الزَّبد، وأصْفى مِن الدَّمع، وأذكى مِن العَنبر يخرج من تَسْنيم، ويمرُّ بأنهار الجِنان يجري على رَضْراض الدُّرِّ والياقوت، فيه من القِدْحان أكثرُ من عدد نجوم السَّماء، يوجد ريحه مِن مَسيرةِ ألف عام، قِدْحانه مِن الذَّهب والفِضّة وألوان الجوهر، يفوح في وجه الشّارب منه كلُّ فائحة حتّى

يقول الشّارب منه: يا ليتني تركت ههنا لا أبغي بهذا بَدلاً، ولا عنه تَحويلاً، أما إنّك يا [ابن] كِرْدين ممّن تروي منه، وما مِن عَين بَكتْ لنا إلاّ نَعِمتْ بالنّظر إلى الكوثر وسُقِيتْ منه، وأنَّ الشَّارب منه ممّن أحبَّنا ليعطى مِن اللذّة والطَّعم والشَّهوة له أكثر ممّا يعطاه مَن هو دونه في حُبِّنا" (٨).

٦. المحافظة على هذا الحدث المهم الذي مثّل أطروحة إلهية لتوعية الأمّة الإسلامية لحفظ الرّسالة الخاتمة من الضّياع أو التّشويه والتّحريف. حيث أنّ السّلطة الغاشمة حاولت منذ البداية أن تضيّع الحقيقة، حينما طرحت قضية الحسين-عليه السلام- على أنّها عملية خروج على السلطة الشّرعيّة، وأطلقت عليهم اسم (الخوارج)، وعلى أنّها شق لعصا المسلمين ووحدتهم، وحاولت أن تغطّي على شخصية الإمام الحسين-عليه السلام- وأهدافه وخلفية نهضته وأسبابها والظروف المحيطة بها، لأنّ كل ذلك يوضح الحقيقة النّاصعة التي قامت على أساسها هذه الثّورة العظيمة في تاريخ المسلمين، حتى أنّ يزيد حاول في بدايات الأمر أن يتنصّل من مسؤولية هذا الحدث، ويلقي تبعته على ابن زياد من أجل إضمار هذا النّور الإلهي الذي يهدد وجودهم المفسد والممحق للدين .

٧. إبقاء الحدث حيّاً وفاعلاً ومؤثّراً في عدد من الجوانب المهمّة في الحياة الإسلامية عامّة مثل الجانب الوجداني، وجانب الوعي السياسي للأحداث التي تمرّ بالأمّة، جانب الرؤية الإسلامية الصحيحة للحكم الإسلامي ومقوماته، والقدرة على التمييز بين الصحيح والخطأ في ممارسات هذا الحكم، مع القدرة على تمييز الخطوط الخضراء والحمراء التي يصحّ السكوت عنها رعاية للمصلحة الإسلامية، أو التي تشكّل تهديداً للإسلام، بحيث تفرض الثّورة والتّصدّي وفي أوساط الجماعة الصالحة خاصة.

٨. المحافظة على العلاقات الإنسانية والاجتماعية بين أفراد الجماعة الصالحة، ومن يتفاعل معها من المسلمين، ولكن ضمن الإطار الصحيح لهذه العلاقات المتمثل بالأهداف والأخلاق الحسينية.

ولا يتوهم البعض أنّ هذه الفضائل تخصّ فقط المجالس التي يقيمها الرّجال، بل يشمل ذلك المجالس النّسائية التي تُقام لإحياء ذكرى أهل البيت-عليه السلام-.. فللمجالس النّسائية نصيب كبير في التّأثير الإيجابي على الواقع العائلي والأسري، فلربّما يسوق حديث ما إلى زرع الألفة والمحبّة بين الزّوجين، سيّما المجالس العامرة التّوجيهيّة، التي يترأّسها منبر سيّد الشّهداء، ولكن لحضور تلك المجالس شروط وواجبات لابُدّ للمرأة المؤمنة الموالية مراعاتها تبدأ وقبل كل شيء في أساس خروجها من دارها يجب أن يكون بإذن زوجها ورضاه، ولا يستوجب خروجها هتكاً لحرمتها أو حرمة المجلس العظيم، وأن تكون واعية لما يُقال وتحاول الاستفادة وترك التّعليق والانتقاد السلبي.

إنّ إحياء المجالس التي تُعقد في شهري محرم وصفر إثر فاجعة الطّف، تُعد المصداق الأمثل لإحياء الشّعائر التي قال عنها الله تعالى: **(ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب)**(٩) وهي بلا شك من الممارسات التي دأب الأئمة على نشرها وإحيائها وتوارثها المؤمنون جيلاً بعد جيل. فينبغي لاستمراريتها أن نحافظ على أن تبقى بطابعها الذي ينعقد على ذكر المصيبة ومواساة سيّدتنا الزّهراء-عليها السلام- رغم الحرب المعلنة عليها فهي قد اتسمت بضيق وتستر نتيجة ما لقيته تلك المجالس من قمع واضطهاد في العصر الأموي والعبّاسي وأحياناً أخرى اتسمت بالانفراج والاتساع في عصور أخرى، وبالرغم من كل تلك المواجهات والظّروف التي مرّت بها إلا أنّ المجالس حافظت على أصالتها وبقيت تُقام في مواعيدها وأصبحت

المساجد والحسينيات مراكز لنشر الوعي الدّيني، وقد أخبر رسول الله-صلى الله عليه وآله- ابنته فاطمة بقتل ولدها الحُسين-عليه السلام- وما يجري عليه من المحن فبكت فاطمة بكاءً شديداً... وقالت: (**يا أبت فمن يبكي عليه ؟ ومن يلتزم بإقامة العزاء له ؟. فقال النبي: يا فاطمة إنّ نساء أمتي يبكون على نساء أهل بيتي، ورجالهم يبكون على رجال أهل بيتي، ويجددون العزاء جيلاً بعد جيل، في كلّ سنة فإذا كان القيامة تشفعين أنت للنساء وأنا أشفع للرّجال، وكل من بكى منهم على مصاب الحسين أخذنا بيده وأدخلناه الجنة. يا فاطمة ! كل عين باكية يوم القيامة، إلا عين بكت على مصاب الحسين فإنها ضاحكة مستبشرة بنعيم الجنة...**)(١٠)

الظاهر من الوقائع التاريخية أنَّ أول مأتم أقيم على أبي عبد الله-عليه السلام- هو مأتم السّيدات العلويات وزوجات وبنات وأخوات الإمام الحُسين فقد علت صرخة نساء بني هاشم في كل ركن من أركان طفّ كربلاء بعد مقتل أبي الأحرار، وهناك مآتم أقيمت أيضاً في وسط الطّريق في رحلة سبيهم الشّاقّة إلى الكوفة ومن ثمّ إلى الشّام وبالرغم من التّعذيب الطّويل الذي لاقينه من قبل يزيد -لعنه الله- وأتباعه، إلا أنّ السّيّدة زينب ومن معها من بنات الرّسالة الفاطميات واصَلْنَ إقامة المأتم الحُسيني واتخذت السيدة زينب وأم كلثوم -عليهنّ السلام- من أحراج الجمل منبراً حُسينيّاً لإعلان المبادئ التي قُتل من أجلها الحُسين بالإضافة إلى نشر فضائل ومظلومية أهل البيت-صلوات الله عليهم-، وإظهار حقيقة الحُكم الظالم آنذاك وتواصلت المآتم الحُسينية من جيلٍ إلى جيل وانتشرت وسرت مسرى الدّم في العروق.

الهوامش:

١- سورة الزمر/ الآية:٥٣ .

٢- سورة المائدة/ الآية: ٣٥ .

٣- سورة الإسراء/ الآية: ٥٧ .

٤- تفسير الصافي/ المولى محسن الفيض الكاشاني /ط: الثانية/ ١٤١٦هـ/ المطبعة: مؤسسة الهادي - قم المقدسة/ الناشر: مكتبة الصدر - طهران/ ج٢/ ص٣٤.

٥- كامل الزيارات/ الشيخ جعفر بن محمد بن قولويه/ التحقيق: الشيخ جواد القيومي/ ط: الأولى/ المطبعة: مؤسسة النشر الاسلامي/ ١٤١٧هـ/ ص٢٠١.

٦- عوالي اللآلي/ ابن أبي جمهور الاحسائي/ ج٤/ ص٦٧/ انتشارات سيّد الشّهداء -عليه السلام-/ قم المقدسة/ ١٤٠٥هـ/ ج٤/ ص٦٧.

٧- الشيخ جعفر بن محمد بن قولويه/ المصدر السابق/ ص٢٠١.

٨- المصدر نفسه/ ج١/ ص١٨٤.

٩- سورة الحج/ الآية: ٣٢.

١٠- بحار الأنوار/ محمد باقر المجلسي(ت١١١١)/ الناشر مؤسسة الوفاء -بيروت -لبنان/ ١٤٢٣هـ/ ج ٤٤ / ص ٢٩٣.

شذرات معرفية

السيد أحمد الميالي/ صحفي

الشذرة الأولى:

إنّ الله -سبحانه وتعالى- خلق هذا الكون الفسيح بما فيه من كائنات وجبال وأنهار وأودية من أجل هدف جلي وغاية عظمى تتناسب مع علم الخالق العظيم الصّانع البديع لإظهار شيء من ملكوته وجميل صنعه المستتر في طيّات هذا الكون الفسيح المدهش، وإظهار هذا الكمال اللامتناهي لذوي العقول من الخلائق التي جهلت او تجاهلت قدر الخالق العظيم الذي أوجدهم كي يعرفوه؛ لأنّ درجات العقول عند الله -تعالى- تتفاوت بتفاوت العلم والمعرفة: (**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**)(١).

إنّ الطّاعة والقرب من الله -تعالى- يكون على قدر المعرفة وإلا تكون هذه الطّاعة خالية المحتوى من مضامين العبادة التي أرادها المولى من عباده فهي كالهباء المنثور لا تسمن ولا تغني من جوع كما يقول الحديث الشريف المروي عن رسول الله -صلى الله عليه وآله-: "**كم من قارئ للقرآن والقرآن يلعنه**"(٢)، ومن تتبع النصوص الشريفة يجد الكثير من الأحاديث التي تعد العبادة بغير التّدبّر والمعرفة بمنزلة العدم؛ لأنّ العبادة إنّما هي طريق الى معرفة المعبود وسموّ العبد الى درجات الكمال اللّائق الذي يتناسب مع رفعة العقل الذي أصبح الفيصل بين المخلوقات ودرجتها عند الله -تعالى- وهو هبة الله لأولي الألباب ونعمة عظيمة يعجز الإحسان ردها، إلّا أنّ المؤسف والمحزن أن يُقابل هذا العطاء بالجحود والعصيان، ولعلَّ السبب واضح هو تعطيل نعمة العقل، والانغماس في الهوى والملذّات التي ألغت دور العقل في مجال التّفكر والتّدبّر في حيّز هذا الكون الشّاسع الذي يرمي الى عظمة الخالق (**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**)(٣)، نعم إنّها المعرفة التي ترشدنا الى درجات الكمال والرّقي، والطّريق الذي يسلك بالإنسان الى هذه الدّرجات هو طريق القرآن الكريم والعترة الطاهرة-صلوات الله عليهم- فهما النّور

الإلهي الذي يوصلنا ولا سبيل سواهما، لذا يجب علينا الرّجوع الى هذا المنهل الإلهي والأخذ منه والعمل بوصاياهما، والرّكوب في سفينتهم التي تتكفّل بإيصال راكبيها الى ساحل الأمان بعيداً عن درك الظّلمات على أن يكون ذلك التّمسّك على معرفة؛ لأن المعرفة تجعل المتمسّك أوثق وأكثر أمنا قبال الأمواج العارمة التي لا يصمد أمامها إلّا من استوثق العروة (**فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**)(٤)، ولا شكّ أنّ هذا التّمسّك المانع من الانفصام ناشئ من العقيدة الرّاسخة في النّفس بعيداً عن التّشكيك والإيهام بأحقّيّة القرآن الكريم والعترة الطاهرة وأنّهما السّبيل الى الله-تعالى-، وهذه العقيدة منبعها الرّئيسي هي المعرفة بالقرآن الكريم والعترة الطاهرة-عليهم السلام-، والى هذه الحقيقة تشير الكثير من الآيات والأحاديث في لزوم التّدبّر والتّفكّر المؤدّي الى المعرفة بالمتفكّر به، منه قوله -تعالى-: (**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**)(٥)، ومنه قوله -سبحانه-: (**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**)(٦)، ولذلك تتفاوت درجات العباد على قدر المعرفة، كما وتتفاضل حسنات الأعمال حسب المعرفة بذات العمل ولذلك نرى تعدّد الدّيانات والملل الباطلة بألوان الكفر والشّرك والالحاد سببها ليس نقص المعرفة فحسب بل تعطيل العقل بالكامل.

إنّ منكري رسالة الأنبياء -عليهم السلام- والجاحدين بهم هو لون من النّاس الذين عطّلوا قواهم العقلية فضلاً عن المعرفية ليتّخذوا تقليد الإباء عقيدة لهم (**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ**)(٧)، والحال نفسه مع اللذين أنكروا مقامات أهل البيت -عليهم السلام- فقد تجرّدوا مما تحلّت به الوحوش الضّواري، فقلوبهم أشدّ قساوة من الحجارة الصّماء (**كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**)(٨)، وفي قوله -تعالى-: (**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً**)(٩).

وإذا تأمّلنا قليلاً في ما جرى على سيّد الشّهداء -عليه السلام- من الظّلم والجور نُدرك مقامه وعظمته عند الله -تعالى- لذا ينبغي أن نكون على معرفة عند زيارته وهذا أعلى مقام يحرزه الزّائر، يؤيد ذلك جواب الإمام الصادق -عليه السلام- عندما سئل عن زيارة قبر الحسين -عليه السلام- قال: (**أخبرني أبي -عليه السلام- أنّ من زار قبر الحسين -عليه السلام- عارفاً بحقّه كتبه الله في علّيين**)(١٠)، لذا على المنصف أن يتأمّل ويتدبّر جيّداً حتى لا يضل الطّريق فيهلك ولات حين مناص.

الشذرة الثانية:

إنَّ الله -سبحانه تعال-ى خلق الإنسان ذا وجود مركّب، أحدهما الوجود المادّي المحسوس المتمثّل بهيكل الإنسان في عالم المادّيّات، والوجود الآخر هو الوجود الرّوحي اللاملموس .

إنَّ كلَّ وجود من الوجودين يحتاج إلى متطلبات لديمومته واستقرار حياته، فالجسم الإنساني يحتاج إلى غذاء وشراب ليبقى صحيحاً معافاً، كذلك الرّوح تحتاج إلى غذاء، ولكن شتان بين غذاء الجسم وغذاء الرّوح .

وحتى نتعرَّف على غذاء كلّ من الوجودين نحتاج أن نضيء قلوبنا بقول الإمام علي -عليه السلام- بهذا الصدد حيث قال: "**إنّ للجسم ستّة أحوال: الصحّة، والمرض، والموت، والحياة، والنوم، واليقظة. وكذلك الروح فحياتها علمها، وموتها جهلها، ومرضها شكّها، وصحّتها يقينها، ونومها غفلتها، ويقظتها حفظها**"(١١).

ومن قول الإمام علي -عليه السلام- نفهم أنَّ غذاء الرّوح غير غذاء الجسم؛ لأنّ الجسم يحتاج إلى غذاءٍ مادّيٍّ متمثّل بالأطعمة والأشربة الغنيّة بالعناصر الضّرورية للمحافظة عليه من الأوبئة والأمراض لكون أغلب الأمراض منشأها النّقص في المصدر الغذائي.

أمّا الرّوح فهي أيضاً تحتاج إلى غذاء حتى لا تقع في سُبات الغفلة الذي يؤدّي إلى مرض الشّكّ والزّيغ وبالنّتيجة موت الرّوح بالجهل الأعمى واتّباع الهوى والانغماس في

الشّهوات.

إنّ الإنسان إذا أراد أن يخرج من درك الظّلمات وأودية الجهل، عليه أن يتمسّك بحبال العلم ويتزوّد بزاد التّقوى، فهو السّبيل الوحيد لحياة الرّوح وتنويرها بنور الإيمان.

إنّ نوافذ وينابيع التّقوى لا يمكن تحصيلها والوصول إليها إلا بعد التّمسّك بركني التّقوى وهما الثّقلان المتمثّلان بالقرآن الكريم وأهل البيت -عليهم السلام-.

إنّ نهضة الإمام الحسين -عليه السلام- لم تكن ثورة عسكرية بل هي نهضة فكريّة إصلاحية ذات أبعاد سامية واضحة وهادفة الى إحياء النّفوس التي امتزجت بالغفلة والجهل بسبب الدّوافع الدّنيوية الزّائلة متناسين خروجهم على إمام زمانهم وزوالهم عن المبدأ الأعلى رغم ذلك إلا أن الإمام الحسين -عليه السلام- واصل في إلقاء حجّته وإسداء رسالته العظيمة لتكون درساً للأجيال على مرّ العصور ومنهجاً تسير عليه الأمم ليكون ذلك انتصاراً إيمانياً وفكرياً على أعداء الأمّة الإسلاميّة الذين جنّدوا أنفسهم لمحاربة أتباع أهل البيت -عليهم السلام-، بل نذروا أنفسهم لهذا الطّريق المشؤوم، إلّا إنّنا أقوى من ذلك بكثير إن شاء الله -تعالى-؛ لأنّ شعارنا صرخة الإمام الحسين -عليه السلام- في كلّ زمان (هيهات منّا الذلة) .

إنّ قوتنا تتمثل في وعْينا وإرادتنا وتضحياتنا التي نُقدّمها في سبيل نصرة الدّين الإسلامي، ومن جملة مضامين التّضحية هي خدمة زائري الحسين -عليه السلام- من خلال تقديم ما يحتاج إليه الزائر من وجبات طعام ومستلزمات طبّيّة وخدمات أخرى، ليكون ذلك مدخلاً إلى الهدف الأساس وهو نشر الثّقافة الإسلامية بشكل يناسب مع كافة المستويات والطّبقات.

الهوامش:

١- سورة المجادلة/ الآية: ١١ .

٢- بحار الأنوار/ محمد باقر المجلسي(ت١١١١)/ الناشر مؤسسة الوفاء -بيروت -لبنان/ ١٤٢٣هـ/ ج ٨٩ / ص ١٨٥.

٢- سورة فصلت/ الآية:٥٤.

٤- سورة البقرة/ الآية:٢٥٦ .

٥- سورة محمد/ الآية: ٢٤

٦- سورة النحل/ الآية: ٤٤ .

٧- سورة البقرة/ الآية: ١٧٠.

٨- سورة المطففين/ الآية: ١٤ .

٩- سورة البقرة/ الآية: ٧٤.

١٠- كامل الزيارات المولف: الشيخ الجليل جعفر بن محمد بن قولويه / التحقيق: الشيخ جواد القيومي/ الطبعة: الاولى/ المطبعة مؤسسة النشر الاسلامي/ ١٤١٧هـ / ص٢٨٠.

١١-المجلسي / المصدر السابق/ ج ٥٨ / ص٤٠.

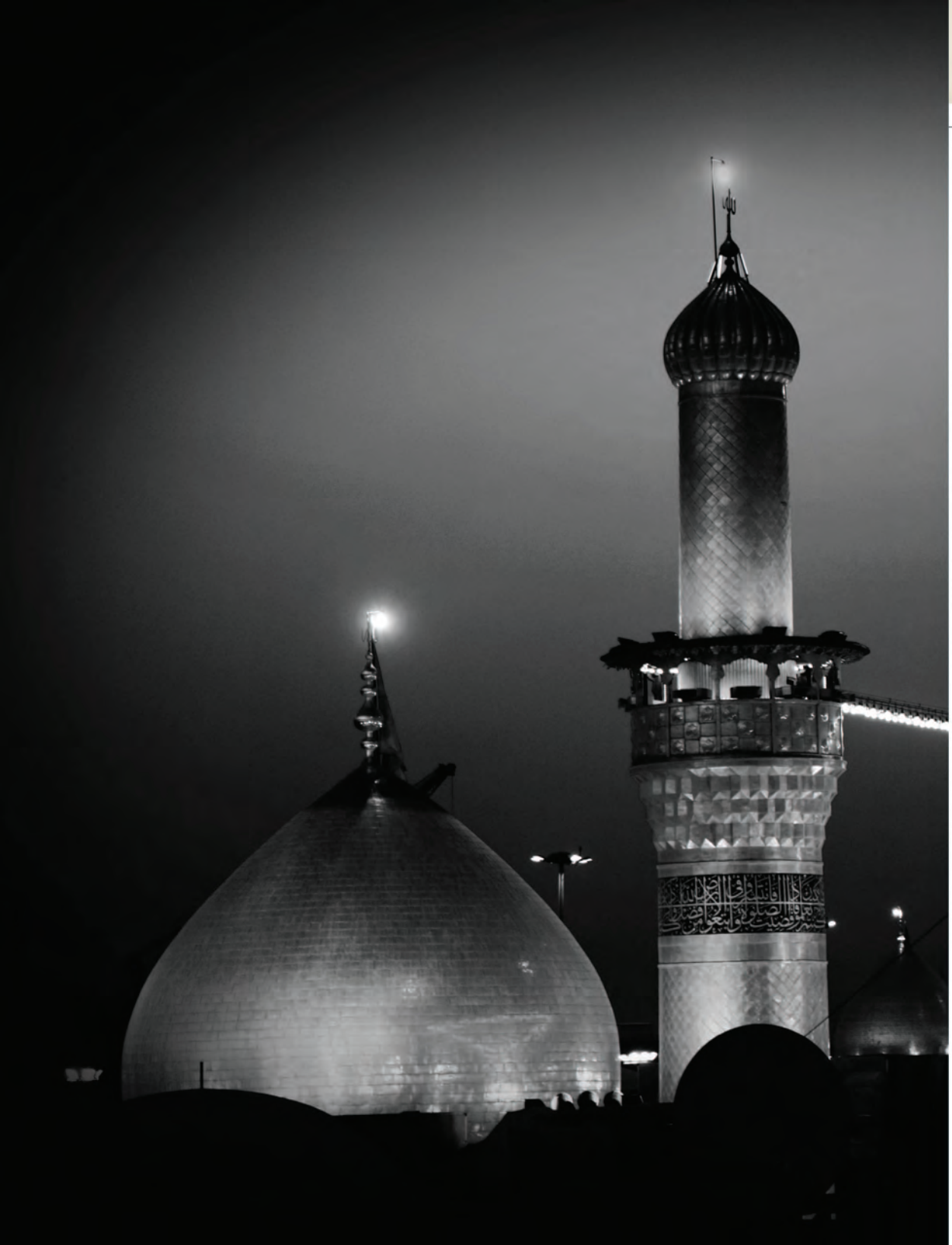

رجال حول سيّد الشّهداء -عليه السلام-

دروس من حياة السفير مسلم بن عقيل -عليه السلام-

محمد رضا الأسدي/ صحفي

حياة سفير سيّد الشّهداء -عليه السلام- مسلم بن عقيل -عليه السلام- مدرسة عطاء يقتبس منها الإنسان الدّروس، ويستلهم منها الفضائل والعِبر، فتنير له دربه في حياته اليومية، ويتزود منها ما يقرّبه إلى الله -عزّ وجلّ- ورسوله وأهل بيته -صلوات الله عليهم-، وقبل الوقوف في هذه المحطات والاطلاع عليها لا بُدّ من عرض موجز لشخصيته:

ولادته وأسرته: ولد مسلم بن عقيل في المدينة المنورة سنة ٢٢هـ على أرجح الأقوال.

والده: هو عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم- عليهم السلام-، وعمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -عليه السلام-، وعمه الآخر جعفر الطّيار -عليه السلام- الشّهيد في مؤتة، فهو من أصول كريمة وطاهرة، ومن الذين نشأوا بين خير الآباء والأعمام.

أمه: السيدة أم ولد يقال لها: عليّة(١).

زوجاته وأولاده: تزوّج بابنة عمّه رقية بنت أمير المؤمنين -عليه السلام- المعروفة برقيّة الصّغرى، فولدت له عبد الله، وقد رافقت زوجته رقية أخاها الإمام الحسين -عليه السلام- مع ابنها عبد الله في خروجه من مكة، فاستشهد عبد الله في كربلاء وأمه تنظر إليه على يد عمرو بن صبيح لعنه الله، حيث أصابه بسهم وكان واضعاً يده على جبينه ليتقيه، فأصاب السّهم كفه ونفذ إلى جبهته فسمرها به، ولم يستطع تحريك يده فطعنه آخر برمح في قلبه(٢).

كما تزوَّج مسلم بأم ولد فولدت له محمداً الذي استشهد في كربلاء على يد أبي مرهم الأزدي ولقيط بن إياس الجهني(٣).

كما نقل الشيخ الصّدوق في أماليه قصّة طفلين صغيرين لمسلم بن عقيل أُسِرا من معسكر الإمام الحسين -عليه السلام- ثم أخِذا إلى عبيد الله بن زياد فأوصى السّجّان بالتّضييق عليهما في المأكل والمشرب وغير ذلك، فكانا يصومان النّهار فإذا جنّهما الليل أفطرا على

قرصين من شعير وكوز من الماء، ثم تذكر الرّواية كيفية خروجهما من السّجن وهروبهما حتى إلقاء القبض عليهما ثم قتلهما بقطع رؤوسهما(٤)، وهناك مقام لهما بالقرب من مدينة المسيّب.

صفاته الخلقية: عرف بقوة البدن والفتوّة(٥). كما أشارت بعض المصادر إلى شبهه بالنّبي الأكرم محمد -صلى الله عليه وآله-.

سيرته: شارك مسلم بن عقيل في معركة صفّين سنة ٣٧هـ ولبسالته وشجاعته جعله أمير المؤمنين -عليه السلام- على ميمنة العسكر مع الحسن والحسين -عليهما السلام- وعبد الله بن جعفر الطّيّار، بالرّغم من صغر سنّه(٦).

بعد موت معاوية وانقضاء مدّة الصّلح وتخلّف معاوية عن بنود الصّلح أرسل الإمام الحسين -عليه السلام- مسلماً في أواخر شهر رمضان سنة ٦٠ للهجرة إلى أهل الكوفة بعد أن كتبوا إليه الكتب يَشْكُون الحال، فأتى مسلم المدينة المنورة وصلّى في مسجد الرّسول -صلى الله عليه وآله- ثم غادرها إلى الكوفة، ولمّا وصل الكوفة نزل دار المختار بن أبي عبيدة الثّقفي، وبايعه ١٨ ألفاً من أهلها وكانوا يتردّدون عليه بشكل علني، فأرسل كتاباً إلى الإمام الحسين -عليه السلام- بتاريخ ١٢ من ذي القعدة مع عابس بن شبيب الشّاكري يخبره ببيعة أهل الكوفة له.

واشتكى جماعة من أتباع بني أميّة إلى يزيد من حال الوالي النّعمان بن بشير واتّهموه بالضّعف وطالبوا بتغييره لعدم مواجهته حركة مسلم بن عقيل بالقوّة والبطش، فوافق يزيد على جعل عبيد الله بن زياد والياً عليها مضافاً إلى ولايته على البصرة، فقدم ابن زياد إلى الكوفة ومعه جمع من خاصّته، وأخذ يهدد النّاس ويتوعّدهم، وأخذت سياسة التّهديد تؤثّر في النّفوس الضّعيفة، فتحوّل مسلم إلى دار هانئ بن عروة وصار الشّيعة يتحوّلون إلى داره بشكل مخفي إلى أن أعتقل هانئ بن عروة فخرج مسلم يوم الثامن من ذي الحجة. فتخلّف أهل الكوفة عن نصرته حتى بقي وحيداً.

شهادته: استشهد مسلم بن عقيل في الكوفة يوم التاسع من ذي الحجة سنة ٦٠ للهجرة بعد يوم واحد من خروج الإمام الحسين -عليه السلام- من مكة، وبعد مقاومة شديدة قَتل فيها جمعاً من جند ابن زياد، وتمّ إلقاء القبض عليه غدراً من قبل جيش ابن زياد، وقد أمر ابن زياد بقطع رأسه بالسّيف وإلحاق بدنه بجسمه، فَرُفع أعلى قصر الكوفة فقتله بكير بن حمران الأحمري، ثم رُميت جثّته الطّاهرة من أعلى القصر، ودفن بعد ذلك في مشهده المجاور لمسجد الكوفة(٧).

محطات النور

لقد كانت حياة هذا الشّهيد محطات مشرقة يتلو بعضها بعضاً، ومن تلك المحطّات:

المحطة الأوّلى: الوثاقة والعدالة

قال الإمام الحسين -عليه السلام- في حقّه حينما أرسله إلى أهل الكوفة: " **وإنّي باعث إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل**"(٨).

وأن يكون مسلم بن عقيل أخاً لسيّد الشّهداء -عليه السلام- فهذا اختصاص وفضل عظيم، وكذا أن يبلغ رتبة يكون فيها موضع ثقة الإمام الحسين -عليه السلام-، فإنّ الوثاقة لا تأتي بمجرّد الصّدق، فَرُبّ صادق ولكنه بسيط فيخدع، وقد يكون الشّخص صادقاً ولكنه لا يثبت ولا يدقق فلا يمكنك الاعتماد عليه، أما مسلم بن عقيل فقد كان موضع الاعتماد.

وجاءت في زيارة مسلم بن عقيل الإشارة إلى بعض الجهات الموجبة للاعتماد وهي: " **أشهد لك بالتّسليم والوفاء والنّصيحة لخلف النّبي المرسل**"(٩).

وعندما ألقي القبض عليه بكى، فقيل له: " **إنّ من يطلب مثل الذي تطلب لا يبكي، إذا نزل به الذي نزل بك لم يبك، قال: إنّي والله ما لنفسي بكيت، ولا لها من القتل أرثي، وإن كنت لم أحب لها طرفة عين تلفا، ولكن أبكي لأهلي المقبلين إليّ، أبكي للحسين -عليه السلام- وآل الحسين**"(١٠).

إنّ كلّ ما يصدر من الإمام المعصوم -سلام الله عليه- من قول وفعل وتقرير هو حجة، فالإمام لا يمدح اعتباطاً ولا يحابي أحداً لكونه قريباً له، أو من أبناء عمومته، بل إنّ ما يقوله الإمام المعصوم هو مطابق للواقع وعين الحقيقة. فإذا عرفنا ذلك أدركنا عظمة مسلم بن عقيل -سلام الله عليه-.

المحطّة الثّانية: الشّجاعة والإباء

فمسلم بن عقيل بعد أن عرف ابن زياد بموضع اختبائه في دار (طوعة) أرسل الجند للهجوم عليه في الدّار، فخرج مسلم إليهم بسيفه وشدّ عليهم حتى أخرجهم من الدّار، وقاتلهم قتالاً شديداً حتى قَتل خمسة وأربعين رجلاً منهم، فجعلوا يفرّون منه أينما توجّه، ولقد أصيب في مقاتلته لهم بضربة سيف بكر بن حمران أصابت شفته العليا فقطعها وأسرع السيف إلى السفلى حتى وصلت إلى ثناياه (أسنان المقدم)، ولكن ذلك لم يوقفه عن مواصلة القتال.

ولما عجز جند ابن زياد من مواجهته وجهاً لوجه استعانوا بطريقة أخرى وهي رميه بالحجارة وإلقاء النّار المشتعلة بأطنان القصب عليه، ومع ذلك بقي صامداً وهجم عليهم ثانية وقتل جمعاً آخر منهم، وإنّ نفس هذا القتال مع انفراده وعدم وجود ناصر معه لهو أكبر دليل على شجاعته وقلّة مبالاته بأعدائه وبالموت. كما لم يهتز مسلم قيد شعرة من تهديدات ابن زياد وبطشه بعد إلقاء القبض عليه، بل كان يقرعه بالكلمات الدامغة كما روى أبو الفرج الاصفهاني.

المحطة الثّالثة: الفقه المقترن بالعبادة والورع

مسلم بن عقيل كان صهراً لأمير المؤمنين -عليه السلام- وملازماً له ولولديه الإمامين الحسن والحسين -عليهما السلام-، فاغترف من علومهم ومعرفتهم بالدِّين وأحكامه وتزوّد من ورعهم وخوفهم من الله عزّ وجلّ وعبادتهم له، فلا خير في علم لا ورع فيه. وشاهدٌ جليّ آخر على فقهه وورعه عدم شربه الماء المختلط بالدّم عند شهادته، فإنّه بعد

قتاله وأسره من قبل أتباع ابن زياد كان قد أصابه العطش الشّديد، فلما أُخذ إلى قصر ابن زياد رأى قلة (جرّة، كوز) مبردة موضوعة على بابه فقال: "اسقوني من هذا الماء"، فقال له مسلم بن عمر وأبو قتيبة بن مسلم الباهلي: أتراها ما أبردها، فوالله لا تذوق منها قطرة واحدة حتى تذوق الحميم في نار جهنّم، فقال له مسلم: «ويلك، ولأمك الثكل، ما أجفاك وأفظك وأقسى قلبك، أنت يا بن باهلة أولى بالحميم والخلود في نار جهنّم"، ثم جلس فتساند إلى حائط فرقّ له عمرو بن حريث فبعث إليه غلاماً له فجاءه بقلة عليها منديل وقدح معه فصب فيه الماء ثم سقاه، فأخذ كلما أراد أن يشرب امتلأ القدح دماً مِن فيه فأخذ لا يشرب من الدّم.

وفعل ذلك مرة أو مرتين، فلما أراد أن يشرب الثالثة سقطت ثنيتاه في القدح، فقال: " الحمد لله، لو كان لي من الرّزق المقسوم لشربته"(١١).

ومن المعلوم فقهيّاً أنّه لا يجوز شرب الماء المتنجّس بالدّم، ومسلم لم يحدّث نفسه بأنّه في حالة الحرج الشّديد المسوّغة لشرب المتنجس، بل تركه حتى بعد قدرته عليه بعد سقوط أسنانه، وأسلم الأمر لربه وقال عبارة تدل على يقين شديد بما يقسم الله -عزّ وجلّ -ويرضاه له، وكأنّ المشيئة الإلهية اقتضت أن يواسي سيّد الشّهداء -عليه السلام- في عطشه.

ويروي أبو الفرج أيضاً أنّه لمّا أرادوا أن يصعدوا بمسلم أعلى القصر ليقتلوه، صعد وهو يستغفر الله ويصلّي على النبي محمد -صلى الله عليه وآله- وعلى أنبيائه ورسله وملائكته وهو يقول: **" اللهم احكم بيننا وبين قوم غرّونا وكادونا وخذلونا"**(١٢).

المحطّة الرّابعة: التّحلّي بالقيم والأخلاق

صاحب المبادئ هو الذي يلتزم بالقيم ويجعلها المقياس في تحرّكاته، فلا يتجاوزها وإن كان في ذلك خسارة ظاهرية له، لأنّ قيمة الفضيلة أغلى من أيّ مكسب دنيوي، وبمدى الالتزام بهذه القيم يظهر الفارق بين الإنسان الرّسالي وبين الإنسان الوصولي.

وهذا ما كان عليه حال مسلم بن عقيل، فإنّه مع معرفته بأخلاق أعدائه من الغدر ونكث العهود والمكر والكذب فإنّه أبى إلّا الامتثال للفضائل العالية ولم ينحدر إلى أخلاق العدو، فعندما كان في منزل هانئ بن عروة متخفّياً وعلم بقدوم ابن زياد لزيارة هانئ بن عروة الذي كان مريضاً (وقيل أن المريض كان شريك بن الأعور)، فأخبره هانئ أنه سيعطيه إشارة معينة لكي يقتل ابن زياد عندما يكون معه لوحده في غرفته، ثم لمّا أعطاه الجملة التي فيها الإذن بالقتل لم يفعل مسلم ذلك، حتى شكّ ابن زياد في هانئ، فلمّا خرج ابن زياد سأل مسلماً عن سبب امتناعه عن القتل بالرغم من أنّ ابن زياد فاجر غادر، فقال مسلم: إنّما لم أقتله لحديث بلغني عن النبي -صلى الله عليه وآله- قال فيه:" **الإيمان قيد الفتك، لا يفتك مؤمن، وإنّا أهل بيت نكره الغدر**"(١٣). فالغلبة المادّية بالفتك ليس فيها بقاء الإسلام الذي هو فوق تلك الغلبات، إضافة إلى ذلك فإنّ مسلم بن عقيل كان فذّاً من أفذاذ الإسلام في ورعه وتقواه، وتحرجه في الدّين، فقد تربّى في بيت عمه أمير المؤمنين -سلام الله عليه- وحمل اتجاهاته الفكرية، واتّخذ سيرته المشرقة منهاجاً يسير على أضوائها في حياته، وقد بنى الإمام أمير المؤمنين -سلام الله عليه- واقع حياته على الحق المحض الذي لا التواء فيه، وتحرج كأعظم ما يكون التّحرج في سلوكه فلم يرتكب أي شيء شذ عن هدي الإسلام وواقعه، وعلى ضوء هذه السيرة بنى ابن عقيل حياته الفكرية، وتكاد أن تكون هذه السيرة هي المنهاج البارز في سلوك العلويين .

المحطّة الخامسة: السّبق في الشّهادة .

مسلم بن عقيل هو أوّل من قتل من أصحاب الإمام الحسين -عليه السلام-.

وهو أول شهيد سحبت جثته في الإسلام، فلم ينقل التاريخ عمن سحبت جثته قبله.

وهو أول رأس يحمل من بني هاشم، حيث قطعوا رأسه ثم حملوه إلى يزيد بن معاوية في الشام.

وهو أول من صلبت جثّته بعد قتله، وفيه وفي هانئ بن عروة يقول عبد الله بن الزبير بن الأشيم بن الأعشى:

فإن كنتِ لا تدرين ما الموت فانظري * إلى هانـئ في السوق وابن عقيل

إلى بطـل قـد هشّـم السيف أنفه * وآخر يهـوي مـن طمار قتيل

أصابـهما أمـر الأمـير فأصبحا * أحاديـث مـن يسري بكل سبيل

ترى جسـداً قـد غيّر الموت لونه * ونـضح دم قـد سال كل مسيل

وهو أول من قاتل من بني هاشم لوحده بين الأعداء، وأول من أسر منهم.

وهذه الأولية والسبق ليست أولية عددية، بل أولية تعكس رتبة ومنزلة، ولا تكون إلا لعظيم الإيمان والتّصديق واليقين.

المحطّة السّادسة: تقديم القرابين للدّين .

فقد استشهد مع سيّد الشّهداء تسعة من آل عقيل، وعلى رأسهم مسلم بن عقيل، وإخوانه عبد الرحمن ومحمد وجعفر، وأولاده عبد الله ومحمد والطفلين الصغيرين، وابن أخيه محمد بن أبي سعيد بن عقيل بن أبي طالب .

وكان الإمام السّجاد -عليه السلام- يميل إلى ولد عقيل فقيل له: ما بالك تميل إلى بني عمّك هؤلاء دون آل جعفر؟ فقال: **" إنّي لأذكر يومهم مع أبي عبد الله -عليه السلام- فأرقّ لهم"(١٤).**

وقد ربى مسلم بن عقيل أولاده على حبّ الإمام الحسين -عليه السلام- والتّضحية والفداء دونه لأنّ الفداء دونه يعني الفداء دون الدّين، وما نقله التاريخ من مواقف خالدة لأولاده الشّهداء في كربلاء المقدسة إنّما هو انعكاس لروحيّة مسلم وصفاته من الشّجاعة وإيثار الآخرة على الدّنيا والغيرة والحميّة وهي خصال أخذها من أهل البيت -عليهم السلام-.

ومن أجلى مظاهر تلك التّربية نجله عبد الله بن مسلم بن عقيل، فقد روي أنّه برز ووقف بإزاء الحسين -عليه السلام- وقال: «يا مولاي أتأذن لي بالبراز؟ فقال له الحسين -عليه السلام-: يا بني كفاك وأهلك القتل، أنت في حل من بيعتي، حسبك قتل أبيك مسلم، خذ بيد أمك واخرج من هذه المعركة، فقال: يا عم بماذا ألقى جدك محمداً -صلى الله عليه وآله- وقد تركتك سيدي، والله لا كان ذلك أبداً بل أُقتل دونك حتى ألقى الله بذلك، لست والله ممن يؤثر دنياه على آخرته».

وهذه كلمة عظيمة وهي درس لنا في حياتنا، فما بلغ عبد الله منزلة الشهادة بين يدي الحسين -عليه السلام- إلا لأنّه كان في حياته اليومية ممن يؤثر آخرته على دنياه.

الهوامش:

(١)مقاتل الطالبيين/ أبو الفرج الأصفهاني/ انتشارات الشريف الرضي/ ١٤١٦هـ/ مطبعة أمير/ قم المقدسة/ ط٢/ ص٨٦.

(٢) بحار الأنوار/ محمد باقر المجلسي(ت١١١١)/ الناشر مؤسسة الوفاء -بيروت -لبنان/ ١٤٢٣هـ/ ج ٤٥ / ص ٤٤.

(٣) أبو الفرج الاصفهاني/ المصدر السابق/ ص٦٢.

(٤) الأمالي/ أبو جعفر محمد بن علي الصّدوق/ ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م/ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات/ بيروت- لبنان/ ط: الأولى/ ص٧٠-٧١.

(٥) محمد باقر المجلسي/ المصدر السابق/ ج٤٤/ ص٣٥٤.

(٦) مناقب آل أبي طالب/ ابن شهر آشوب/ ١٤١٢هـ-١٩٩١م/ دار الأضواء/ ط: الثانية/ ج٣/ ص١٩٧ .

(٧) الإرشاد/ الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المفيد/ تحقيق: مؤسسة أهل البيت-

عليهم السلام- لإحياء التراث/ إيران/ ط:الأولى/ ١٤١٣هـ/ ج٢/ ص٦٦.

(٨) تاريخ الطبري/ محمد بن جرير الطبري/ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم/ دار المعارف القاهرة- مصر/ ج٤/ ص٣٥٣.

(٩) المزار الكبير/ محمد بن جعفر المشهدي/ تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني/ الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي/ ص١٧٧.

(١٠) الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المفيد/ المصدر السابق/ ج٢/ ص٥٩.

(١١) أبو الفرج الاصفهاني/ المصدر السابق/ ص٦٦.

(١٢) المصدر نفسه/ ص٦٧.

(١٣) أبو الفرج الاصفهاني/ المصدر نفسه/ ص٦٦ .

(١٤) كامل الزيارات/ الشيخ جعفر بن محمد بن قولويه/ التحقيق: الشيخ جواد القيومي/ ط: الأولى/ المطبعة: مؤسسة النشر الاسلامي/ ١٤١٧هـ/ ص ٢١٤.

یا اباعبدالله
حسین

رحلة في جرح الحسين

الشاعر: جاسم الصَّحيح

قصيدة تحمل في طياتها تجليات متلاحقة تحلق بالروح في عوالم الطهروتنظر إلى الإمام الحسين-عليه السلام- من زاوية أخرى...

تمثل هذه القصيدة أنموذجاً للشعر الرسالي، المشع بالجمال الإبداعي،الذي يبعث في النفس الشعور بحقيقة الوجود والكرامة الإنسانية،عندما يقف الشاعر أمام تجليات التَّضحية الحسينية، وحسبها دليلاً على تجلي الإبداع.

حملتُ جنازةَ عقلي معي ... وجِئْتُكَ في عاشقٍ لا يعي
أحسُّكَ ميزانَ ما أدَّعيهِ ... إذا كان في الله ما أدَّعي
أقيسُ بِحُبِّكَ حجمَ اليقينِ ... فحُبُّكَ فيما أرى مرجعي
خلعتُ الأساطيرَ عنِّي سوى ... أساطيرِ عشقِكَ لم أخلعِ
وغصتُ بِجرحكَ حيث الشموسُ ... تهرولُ في ذلك المطلعِ
وحيث (المثلَّثُ)شقَّ الطريقَ ... أمامي إلى العالَمِ الأرفعِ
وعلَّمَني أن عشقَ(الحسينِ)انـ ... ـكشافٌ على شفرةِ المبضعِ
فعَرَّيْتُ روحي أمام السيوفِ ... التي التَهَمَتْكَ ولم تشبعِ
وآمنتُ بالعشقِ نبعَ الجنونِ ... فقد بَرِئَ العشقُ مِمَّنْ يَعي
وجئتُكَ في نشوةِ اللاَّعقولِ ... أجرُّ جنازةَ عقلي معي!
أتيتُكَ أفتلُ حبلَ السؤالِ ... متى ضَمَّك العشقُ في أضلعي؟
عَرَفْتُكَ في(الطَّلقِ)جسرَ العبورِ ... من الرَّحْمِ للعالَمِ الأوسعِ
ووَالِدَتي بِكَ تحدو المخاضَ ... على هودجِ الأَلَمِ المُمْتِعِ
وقد سِرْتَ بِي للهوى قبلما ... يسيرُ بِيَ الجوعُ للمرضَعِ..
لَمَسْتُكَ في المهدِ دفءَ الحنانِ ... على ثوبِ أُمِّيَ ، والملفعِ
وفي الرضعةِ البِكْرِ أنتَ الذي ... تَقاطَرْتَ في اللَّبَنِ المُوجَعِ

وقبل الرضاعة. قبل الحليب. تَقاطَرَ إسْمُكَ في مَسْمَعي
فأَشْرَقْتَ في جوهري ساطعاً بما شَعَّ من سِرِّكَ المودعِ
بكيتُكَ حتَّى غسلتُ القماطَ على ضِفَّتَيْ جُرْحِكَ المُشْرَعِ
وما كنتُ أبكيكَ لو لم تَكُنْ دماؤُكَ قد أيقظَتْ أدمعي
كَبُرتُ أنا.. والبكاءُ الصغيـ ـرُ يكبرُ عبر الليالي معي
ولم يبقَ في حجم ذاك البكاءِ مَصَبٌّ يلوذُ به منبعي
أنا دمعةٌ عُمْرُها (أربعونَ) جحيماً من الألم المُتْرَعِ
هنا في دمي بَدَأَتْ (كربلاءُ) و تَمَّتْ إلى آخرِ المصرعِ
كأنّكَ يومَ أردتَ الخروجَ عبرتَ الطريقَ على أَضْلُعي
ويومَ انْحَنَى بكَ متنُ الجوادِ سَقَطْتَ ولكنْ على أَذْرُعي
ويومَ تَوَزَّعْتَ بين الرماحِ جَمَعْتُكَ في قلبيَ المُولَعِ
فيا حادياً دورانَ الإباءِ على محورِ العالَمِ الطيِّعِ
كفرتُ بكلِّ الجذورِ التي أصابَتْكَ ريَّا ولم تُفْرِعِ
أَلَسْتَ أبا المنجبينَ الأُباةِ إذا انْتَسَبَ العُقْمُ للخُنَّعِ!
تُطِلُّ على خاطري (كربلاءُ) فتختصرُ الكونَ في موضعِ
هنا حينما انتفضَ الأُقحوانُ وثار على التُربةِ البلقعِ
هنا كنتَ أنتَ تمطُّ الجهاتِ وتنمو بأبعادِها الأربعِ
وتحنو على النهرِ. نهرِالحياةِ يُحاصِرُهُ ألفُ مستنقعِ
وحين تناثرَ عِقْدُ الرِّفاقِ فداءً لدُرَّتِهِ الأنصعِ
هنا (لَبَّتِ)الريحُ داعي(النفيرِ) و(حَجَّتْ) إلى الجُثَثِ الصُّرَّعِ

فما أَبْصَرَتْ مبدعاً كَ(الحسينِ) يخطُّ الحياةَ بلا إصبعِ!
ولا عاشقاً كَ(أبي فاضلٍ) يجيدُ العناقَ بلا أذرعِ!
ولا بطلًا مثلما (عابسٍ) يهشُّ إذا سارَ للمصرعِ!
هنا العبقريَّةُ تلقي العنانَ وتهبط من برجِها الأرفعِ
وينهارُ قصرُ الخيالِ المهيبُ على حَيْرةِ الشاعرِ المُبْدعِ
ذكرتُكَ فانسابَ جيدُ الكلام على جهةِ النشوةِ الأروعِ
وعاقرتُ فيكَ نداءَ الحياةِ إلى الآنَ ظمآنَ لم ينقعِ
فما بَرِحَ الصوتُ(هل من مغيث) يدوِّي.. يدوِّي.. ولم يُسْمَعِ
هنا في فمي نَبَتَتْ (كربلاءُ) وأسنانُها الشمُّ لم تُقلعِ
وإصبعُكَ الحرُّ لَّما يَزَلْ يدير بأهدافِهِ إصبعي
فأحشو قناديلَ شعري بما تَنَوَّرَ من فتحِكَ الأنصعِ
وباسمِكَ استنهضُ الذكرياتِ الـ ـحييَّاتِ من عزلةِ المخدعِ
لعلَّ البطولةَ في زَهْوِها بِيَوْمِكَ، تأتي بلا برقعِ
فأصنعُ منها المعاني التي على غير كفَّيكَ لم تصنعِ

يا حسين